

دراسات لغوية

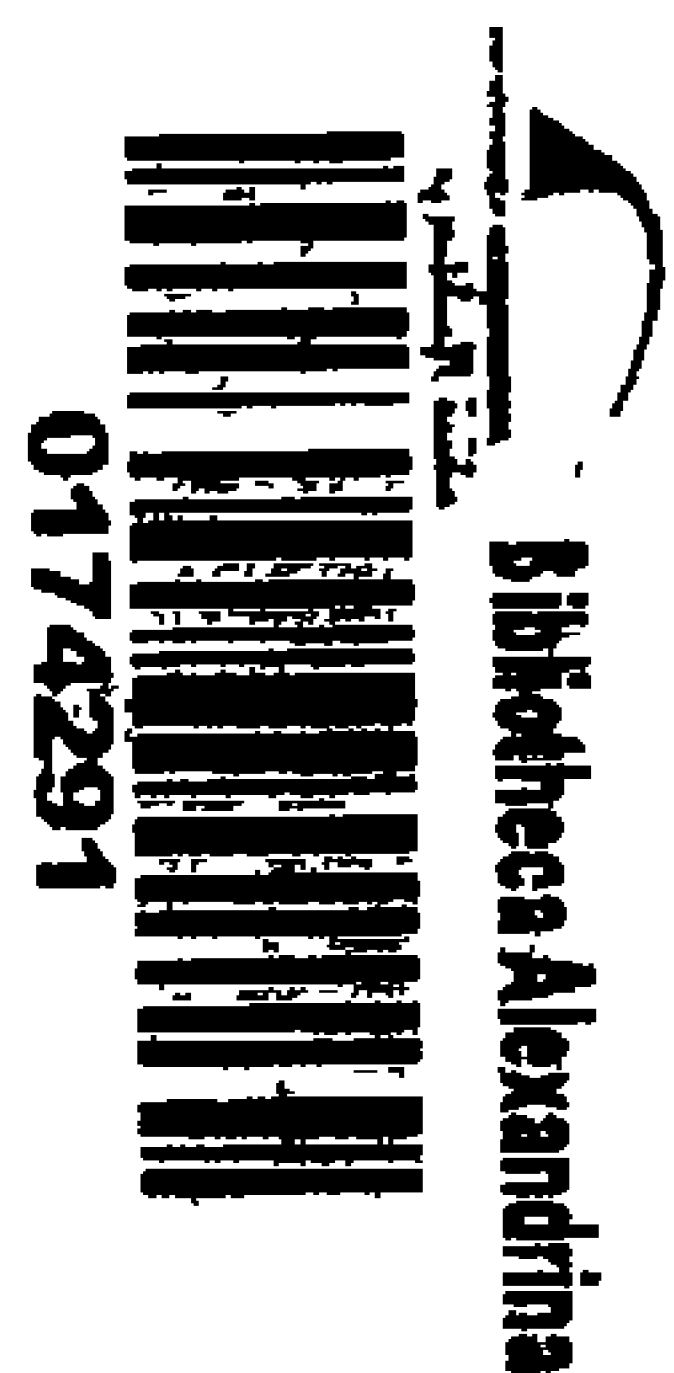
كتاب الجمل

المنسوب للخليل بن أحمد

دراسة تحليلية

دكتور
محمد إبراهيم عبد الله
أستاذ الدراسات اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة بنها

الناشر // منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حنزي وشركاه



دراسات لغوية

كتاب الجمل

المنسوب للخليل بن أحمد

دراسة تحليلية

محمد إبراهيم عبد الله
أستاذ الدراسات اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة بنها

الناشر: منشأة المعارف بالأكاديمية
جلال حنزي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

مقدمة

طبع كتاب بعنوان الجمل في النحو للخليل بن أحمد قام بتحقيقه الدكتور فخر الدين قباوة سنة ١٩٨٥ نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت ، ولم يشأ محقق الكتاب أن يجزم بصحة نسبة الكتاب إلى الخليل أو أن ينفيها عنه . واكتفى بقوله في المقدمة : « أما بعد فهذا كتاب الجمل في النحو المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥) أضعه بين أيدي العلماء والباحثين ليكون مادة للدراسة والتوثيق ، والتحقيق . ولسوف يثير — فيما أرى — أمواجا مختلفة أو متناقضة ، من الآراء ، والتوجيهات ، والنقد ، والتقويم ، تساهم في توضيح معالمه وتسديد منعطفاته وحل مشكلاته »^(١) . وعبر المحقق عن حيرته أمام المادة العلمية في تقسيمها ، وعرضها ، وشواهدا ، وتفصيلها ، وإجمالها ، ولكنني أشعر بعد قراءة المقدمة أنه أميل إلى صحة نسبة الكتاب للخليل بن أحمد^(٢) .

وقد كنت دائما أسأل نفسي كيف كان التأليف في النحو قبل كتاب سيويه ، وقد عشت معه في كتابه زهاء ربع قرن دارسا ، وباحثا ، ومازلت أفكر كيف خرج كتاب سيويه عملاقا في مادته وتقسيمه وعرض شواهد وبسط مسائله . مما لاشك فيه أنه سبق بمصنفات مختصرة أو مطولة ولكن لم يصل إلينا منها شيء إلا « مقدمة في النحو » منسوبة إلى خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وإنه لمن الظلم البين أن يستقر في الأذهان أن المعنيين بالنحو أحجموا عن التصنيف فيه ماعدا عيسى بن عمر الذي نسب إليه كتابا الجامع والإكمال^(٣) . ويقول محمد بن يزيد قرأت أوراقا من أحد كتابي عيسى بن عمر فكان كإشارة إلى الأصول^(٤) في الوقت الذي كان فيه التصنيف في القراءات كما أشارت كتب

(١) الجمل : ٥

(٢) انظر المرجع السابق : ٦ ، ٧

(٣) انظر أخبار النحويين البصريين : ٤٩

(٤) انظر مراتب النحويين : ٤٦

التراجم ومن ذلك كتاب القراءات لزائدة بن قدامة الثقفي (ت ٩١ هـ)^(٥) ، وكتاب في القراءات ليحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط^(٦) ، وكتاب معاني القرآن وكتاب القراءات لأبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١ هـ)^(٧) ، وكتاب القراءات لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)^(٨) ، وكتاب القراءات لأبي عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ هـ)^(٩) وكتاب الفرائض وكتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لحمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة (ت ١٥٦ هـ)^(١٠) ، وجاء في بغية الوعاة^(١١) عن الأنخفش الأكبر (ت ١٧٧ هـ) أنه أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها ، وأعتقد أن ذلك ما كان إلا في كتاب مصنف .

فهل حال بيننا وبين مصنفات النحويين من أشياخ سيويه انبهار تلاميذه وحواريه بكتابه فأخذ بريقه بأبصارهم ، وصرفهم عن كل المحاولات التي سبقته ، فتطامنت تلك المصنفات ومن بينها كتاب الجمل للخليل ، وتنحت عن حيد الطريق ، وتوارت تحت ركام مصنفات النحو التي أعقبت كتاب سيويه شرحا له ونقدا ؟ أو شد كتاب العين للخليل بن أحمد العيون واستولى على الفكر وكثر حوله الجدل فتضاءل كتاب الجمل أمام معجم العين شأنه في ذلك شأن مانسب . إلى الخليل من مصنفات ، وضاع في الزحام ؟

وقد يحتفظ الزمان ببقية أو أثر من الآثار دون تحلل ، وإذا ما أزعجنا عن هذا الأثر غبار الزمان وجلوناه فقد نستطيع أن نتعرفه ونرده إلى عصره وننسبه إلى صاحبه ، وبعد هذا العمل مرحلة من مراحل البحث عن الحقيقة صيانة للتراث

(٥) انظر الفهرست : ٢٨٢ تحقيق رضا تجدد . طهران .

(٦) انظر افرح الوجيز لابن عطية ١ : ٦٧ .

(٧) انظر الفهرست : ٢٧٦

(٨) انظر السابق : ٢٢٧

(٩) انظر السابق : ٣٨

(١٠) انظر السابق : ٣٢ ، ٣٩

(١١) بغية الوعاة : ٢ : ٧٤

الفكرى . ولذلك عزمت على أن أكون من نشاد الحقيقة مجرد انفسى من أى حكم
يسبق الدرس محاولا بهذه الدراسة الكشف — بجهدى المحدود — عن نسبة هذا
الكتاب فى ضوء كتاب العين وكتاب سيبويه ومعانى القرآن للفراء ومجاز القرآن
لأبى عبيدة. والمقتضب للمبرد وغيرها من كتب النحو واللغة إلى القرن الرابع
حيث كانت وفاة ابن شقير فى مطالعه وهو الطرف الثانى فى تنازع هذا الكتاب .

وتتمثل هذه الدراسة فى أربعة فصول : الفصل الأول أُلقيت فيه نظرة عامة على
كتاب الجمل المنسوب للخليل ، وفى الفصل الثانى تناولت آراء الخليل المنسوبة
إليه فى ضوء هذا الكتاب ، وفى الفصل الثالث تناولت بالدرس العناوانات
والمصطلحات الواردة بالكتاب ، وفى الفصل الرابع تناولت الشواهد من القرآن
والحديث والشعر والأمثلة التى تضمنها الكتاب ثم ختمت الدراسة ببيان الحصاد .

وآمل أن أكون بهذا العمل قد أنجزت مرحلة مكملّة للمرحلة التى بدأها بحقق
الكتاب . وأن يكون هذا اللون من الدرس قد ألقى ضوءا أبرز ملاح المصنف
والعصر الذى ينتبى إليه .

وبالله التوفيق ،

محمد إبراهيم عبادة

الاسكندرية : ١٦ / ٧ / ١٩٨٧

الفصل الأول

نظرة عامة
فى كتاب الجميل

انطلق مصنف هذا الكتاب من مسلمة في نظر القدماء تقول : إن جميع النحو في الرفع والنصب والجر والجزم ، وإن معرفة مواضع الرفع والنصب والجر والجزم وعلامات كل منها هي معرفة النحو ، وقد حرص المصنف على توضيح ذلك في مقدمة كتابه بقوله : « هذا كتاب فيه جملة الإعراب إذ كان جميع النحو في الرفع والنصب والجر والجزم ، وقد ألفنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والجر والجزم ، وجمل الألفات ، واللامات ، والهاءات ، والتاءات ، والواوات ، ومايجرى من اللام ألفات ، وبيننا كل معنى في بابيه باحتجاج من القرآن وشواهد من الشعر ، فمن عرف هذه الوجوه بعد نظره فيما صنفناه من مختصر النحو قبل هذا استغنى عن كثير من كتب النحو »^(١) .

وبدأ المصنف ببيان وجوه النصب لأنها أكثر الإعراب طرقا ووجوها ، وذكر أنها واحد وخمسون وجها عرضها جملة ثم فصلها ، ثم انتقل إلى بيان وجوه الرفع وذكر أنها اثنان وعشرون وجها ، وعرضها جملة ثم ذكر علامات الرفع وهي عنده ستة أشياء : الضمة ، والواو ، والفتحة ، والألف ، والنون ، والسكون^(٢) ، ثم ذكر وجوه الرفع منفصلة ، ثم انتقل إلى بيان وتفسير وجوه الخفض فذكر أنها تسعة وجوه عرضها جملة ، وبين أن علامة الخفض ثلاثة هي الكسرة والياء والفتحة ، ثم ذكر وجوه الخفض بتفصيل ، ثم انتقل إلى بيان وتفسير إعراب جمل الجزم — على حد قوله — فبين أن للجزم اثني عشر وجها ، وذكر علامات الجزم وهي خمسة : السكون ، والضمة ، والكسرة ، والفتحة ، وإسقاط النون ، ثم ذكر وجوه الجزم مفصلة .

وبهذا ينتهي مايمكن أن نسميه القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني — في نظرنا — فقد جعله لبيان بعض الحروف وبيان وظائفها المتعددة في التراكيب المختلفة فتناول جمل الألفات وهي ثلاثة وعشرون ، ثم جمل اللامات وهي إحدى وثلاثون ثم جمل الهاءات وهي اثنتا عشرة ، ثم جمل التاءات وهي خمس عشرة ، ثم جمل الواوات وهي ثلاثة عشرة ، ثم جمل اللام ألفات وهي اثنتا عشرة ، ثم

(١) الجمل في النحو للتحليل : ٣٣

(٢) السابق : ١١٧

اختلاف معاني ما وهي عشرة معان ، ثم تفسير الفاءات وهي سبع ، ثم تفسير التونات وهي عشر ، ثم تفسير الباءات وهي أربع ، ثم تفسير الياءات وهي تسع . ثم ختم الكتاب بفصل في « رويد » وفصل في الفرق بين « أم » و « أو » .

فالمصنف في القسم الأول أراد أن يبين المواضع التي يرد فيها الاسم منصوبا ، والمواضع التي يرد فيها الفعل منصوبا ، وأن يبين المواضع التي يرد فيها الاسم مرفوعا ، والمواضع التي يرد فيها الفعل مرفوعا ، وأن يبين المواضع التي يرد الاسم فيها مجرورا ، والمواضع التي يرد فيها الفعل مجزوما من غير أن يضع ذلك في أبواب ، ومن غير أن يعرض لعوامل الرفع والنصب والجرّ والجزم .

وضمن المصنف هذا الإطار العام كثيرا من المسائل النحوية والصرفية مثل : الفصل بالنعته بين اسم إن ونحوها^(٣) ، والعطف على اسم إن وأخواتها بعد استكمال الخبر^(٤) ، زيادة كان^(٥) ، ضمير الفصل^(٦) ، المجرور بالمجاورة^(٧) ، إلحاق تاء التانيث بالفعل^(٨) ، استعمال حسب وكفى^(٩) ، استعمال مذ ومنذ^(١٠) ، التأكيد بالنون في غير القسم^(١١) ، أصل « الذي »^(١٢) ، تركيب « ماذا »^(١٣) ، أصل « أب » و « أخ » و « فم » و « دم »^(١٤) ، اجتماع همزة الاستفهام مع همزة القطع^(١٥) ، اللغات في « هو »^(١٦) ، الوقف على الهاء بالتاء^(١٧) ، تركيب « اللهم »^(١٨) ، أصل « لبيك »^(١٩) ، حكم المضعف المجزوم^(٢٠) .

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| (١٢) انظر . ١٦١ | (٣) انظر . ١٢٨ |
| (١٣) انظر . ١٥٩ | (٤) انظر : ١٢٨ |
| (١٤) انظر . ٢١٩ | (٥) انظر : ١٢٤ |
| (١٥) انظر . ٢٣١ ، ٢٤٦ | (٦) انظر : ١٦٧ |
| (١٦) انظر . ١٦٧ | (٧) انظر . ١٧٣ ، ١٧٤ |
| (١٧) انظر ٢٧٢ | (٨) انظر ٢٧٦ |
| (١٨) انظر ١١٠ | (٩) انظر ٨٩ |
| (١٩) انظر ١٥٣ | (١٠) انظر . ١٣٥ ، ١٣٦ |
| (٢٠) انظر ١٩٦ | (١١) انظر ١٩١ |

كما تضمن الكتاب ثمانيا وستين وثلاثمائة آية من القرآن الكريم مع توجيه القراءات ، وأربعة عشر وأربعمئة شاهد من الشعر . وحديثا واحداً هو : « لتأخذوا مصافكم »^(٢١) .

ونلاحظ أن المصنف لا يفرق بين علامات إعراب أصلية وعلامات فرعية ، ولابن الإعراب الظاهر والإعراب المقدر فالفتحة علامة لرفع المثنى في قولنا : « عبدا الله » ، والسكون علامة لرفع الفعل المضارع في مثل : « يرمى ويغزو »^(٢٢) ، والفتحة علامة للجزم والفتحة علامة للجزم في مثل : « لم يرض »^(٢٣) ، والضممة علامة للجزم في مثل : « لم يَفْزَ » والكسرة علامة للجزم في مثل : « لم يرم »^(٢٤) . وهذه العلامات لم ترد في غير هذا الكتاب على ما أعلم .

وإذا تأملنا تناول المصنف للحروف نجده يخص حديثه بأحد عشر حرفا هي : الألف ، واللام ، والهاء ، والتاء ، والواو ، ولا ، وما ، والفاء ، والنون ، والباء ، والياء ، وبين استعمال هذه الحروف ودلالاتها الصرفية والنحوية وعملها إن كانت عاملة مستشهدا بالقرآن والشعر . ونلاحظ أن كل هذه الحروف مفردة باستثناء « لا » و « ما » . وأثناء حديثه عن « لا » يعرض لاستعمال « إلا » للاستثناء ، والتحقيق ، وبمعنى الواو ، وبمعنى غير ، وبمعنى لكن ، وأثناء حديثه عن « ما » يعرض لاستعمال « أمّا » . وهو بذلك لم يقسم الحروف إلى أحادية وثنائية ، وثلاثية ، ورباعية كما فعل سيبويه ، ومن بعده الرماني في كتابه معاني الحروف ، ولم يفرق بين العوامل والهوامل .

ولا تظهر التعريفات في هذا الكتاب إلا في موضعين الأول في قوله : « وحد التعجب ما يجده الإنسان من نفسه ، عند خروج الشيء من عادته »^(٢٥) ، والثاني قوله : ومعنى الإغراء ' الزم واحفظ »^(٢٦) ، فإن عددنا ذلك تجاوزا من قبيل

(٢١) انظر . ٢٥٠

(٢٢) انظر : ١١٧

(٢٣) انظر : ١٩٠

(٢٤) انظر : ١٩٠

(٢٥) الحمل : ٤٩

(٢٦) الحمل . ٥٥

التعريفات فهي تعريفات لم تأخذ الطابع الاصطلاحي .

وقد عنى المصنف ببيان معاني بعض المفردات أو بذكر اشتقاقها وحكمها من مد وقصر فيما يسوق من آيات وأبيات وعبارات ومن ذلك قوله : « رفع النقرس لأنه أراد : أنا النقرس . وهو : العالم . ويقال رجل نقرس نطيس »^(٢٧) . وقوله : « ويرخم ثمود : ثمور ... وهو مأخوذ من الشمد وهو مستنقع الماء »^(٢٨) . وقوله : يُقال : أم فلان ، إذا شج رأسه حتى تبلغ الشجة أم الدماغ »^(٢٩) . وقوله : « والحافرة : الطريق الذى ذهبت فيه . يقال : رجع على حافرتي »^(٣٠) . وقوله : الزناء يمد ويقصر . والبكاء أيضا »^(٣١) . وقوله : « والكمى : الفارس الشجاع ، والمقنع : الذى يقنع بالسلاح ، أى لبس الحديد »^(٣٢) . وقوله : والمسحت : المهلك ، والمجلف : المستأصل . من قول الله جل وعز : (فيسحتكم بعذاب) أى يهلككم »^(٣٣) ، وقوله : « معنى ينفقون الفعو . وهو فضلة المال . وكذلك عفو الماء ، والقدر وغير ذلك فضلته »^(٣٤) . وقوله : « يحكى عن أم تأبط شرا حين ذكرت ابنها تأبط شرا فقالت : « والله ما حملته تضا ، ولا وضعتي بتنا ، ولا أرضعته غيلا ، ولا أثته على مائة » . قولها ما حملته تضا أى : ما حملته وأنا حائض . وأصله وضعا . واليتن : أن تخرج رجل المولود قبل رأسه وهو عيب . ولا أرضعته غيلا ، والغيل أن ترضع المرأة ولدها وهى حبل . ولا أثته على مائة أى لم ينم الصبي وهو ممتلىء غيظا وبكاء »^(٣٥) .

وقد يعنى المصنف بإعراب بعض الجمل وتوجيه التراكيب ومن ذلك :
« نقول : حسب زيد وعميرو درهمان ، وحسب عبد الله وأخيك ثوبان . رفعت

(٢٧) الجمل : ١٣١

(٢٨) الجمل : ١٣٨

(٢٩) الجمل : ١٧٧

(٣٠) الخمل : ١٨٩

(٣١) الخمل : ٥١

(٣٢) الجمل : ١٠٢

(٣٣) الخمل : ١٤٦

(٣٤) الخمل : ١٦٠

(٣٥) الخمل : ٢٨٢ ، ٢٨٣

حسب على الابتداء وتوبان خير الابتداء ، فإذا كنيت الاسم الأول ، وعطفت عليه باسم ظاهر ، نصبت الاسم الظاهر تقول : حسبك وعبد الله درهمان وحسبه ومحمداً ثوبان . معناه : حسبك وكفى عبد الله درهمان ^(٣٦) .

وقوله : « تقول : رأيت زيدا ، أخاه قائما . نصبت زيدا بـ « رأيت » ونصبت أخاه بالبدل . ولو رفعته على الابتداء كان جائزا » ^(٣٧) .

وقوله : بصر عيني زيد قائم ، رفعت « زيدا » ، لأنه اسم مبتدأ ، ورفعت « قائما » لأنه خبره . وأردت به : زيد قائم يبصر عيني . ونصبت « بصر عيني » بفقدان الخافض ^(٣٨) .

وقوله : ويقال : كان القوم صحيح أبوهم ، وأصبح القوم صحيح ومريض . والوجه صحيحا ومريضا . النصب على خبر « كان » والرفع على معنى : منهم صحيح ، ومنهم مريض ^(٣٩) .

وقوله : « وتقول : ان تزرني وتكرمني أزرُك وأكرمك ، وهذا الفعل الذي أدخلت عليه الواو يرفع وينصب ويجزم . فمن جزم نسقه بالواو على الأول ، ومن نصب فعلى القطع من الكلام الأول ، ومن رفع فعلى الابتداء » ^(٤٠) .

والعلل النحوية التي تسود الكتاب علل قريية المأخذ ومن نماذجها مايلي :

١ — قول المصنف تعليقا على قول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعْرِ الرقابا

« نصب الرقاب لإدخال الألف واللام على الشعر ، لأن الألف واللام

يعاقبان التنوين والتنوين يعاقب الألف واللام » ^(٤١) .

(٣٦) الجمل : ٩٠

(٣٧) الجمل : ١٠١

(٣٨) الجمل : ١١٤

(٣٩) الجمل : ١٢٢

(٤٠) الجمل : ١٩٥

(٤١) الجمل : ٧٢

٢ — وقوله : « رفع لعمرك لأنه شبه لام الخبر كقوله جل ذكره إن الإنسان لربه
لكنود »^(٤٢) وربما أطلق بعض النحويين على مثل هذه العلة علة
الشبه^(٤٣) .

٣ — تعليل نصب اسم إن ورفع خبرها بتشبيه إن وأخواتها بالفعل الذى يتعدى
إلى المفعول . فيقول : « قولهم إن زيدا فى الدار شبهوه بالفعل الذى
يتعدى إلى مفعول كقولهم ضرب زيدا عمرو ، وأخرج عمرا صالح »^(٤٤) .

٤ — تعليل نصب خبر كان بأن الخبر يشبه المفعول به الذى تقدم فاعله .
فيقول :

« وقولهم : « كان زيد قائما وهو فى التمثال بمنزلة المفعول به الذى تقدم
فاعله مثل قولهم ضرب عبد الله زيدا »^(٤٥) .

٥ — ويعلل حذف الياء فى قوله تعالى (يوم يأت لاتكلم نفس إلا
بإذنه)^(٤٦) ، وفى قوله تعالى (يوم ينادى المناد)^(٤٧) وفى قوله تعالى (والليل
إذا يسر)^(٤٨) بقوله : « أسقط الياء استخفافا لها »^(٤٩) .

٦ — وقد يعلل باضطراب الشاعر واحتياجه إلى القافية كما فى قول العجاج :
ورب هذا البلد المحرم قواطنا مكة من ورق الحمي
يقول المصنف : « أراد الحمام وأسقط الميم التى هى حرف الإعراب فبقى
الحما ، فقلبت الألف كسرة لاحتياجه إلى القافية اضطرابا »^(٥٠) .

٧ — وقد يرى العلة أمن اللبس كما فى قوله عن حركة ألف الوصل فى فعل الأمر
فيقول : وإذا كان ثالث حروفه مفتوحا كسروا الألف أيضا وألف الوصل

(٤٢) الجمل : ١٦٤ والآية من سورة العاديات آ : ٦

(٤٣) انظر الاقتراح للسيوطى : ٤٨

(٤٤) الجمل : ٤٥

(٤٥) الجمل : ٤٥

(٤٦) سورة هود آ : ١٠٥

(٤٧) سورة قى آ : ٤٩

(٤٨) سورة الفجر آ : ٤

(٤٩) الجمل : ٢١٢

(٥٠) الجمل : ٢١٣

مثل ألف اذهب ، وإنما فعلوا ذلك لئلا تشتبه ألف الوصل بألف النفس ﴿٥١﴾ .

٨ — وقد يرى العلة تكمن في الجانب الصوتي ومن ذلك :

أ — كراهية العرب النطق بهمزتين مع ضمة ، فيقول : فإذا أمرت من أخذ قلت تُحذ ، وكان الأصل فيه أوخذ فكرهوا أن يجمعوا بين همزتين مع ضمة فحذفوهما ﴿٥٢﴾ .

ب — ومن ذلك أنهم عافوا الجمع بين همزتين مثلين أى همزتي قطع . فيقول : « فمن ذلك قولهم : أأكرمت زيداً ؟ وإن شئت مددت فقلت : آكرمت زيداً ؟ بألف واحدة كأنهم عافوا أن يجمعوا بين همزتين مثلين فقلبوها مدأ ﴿٥٣﴾ .

ج — ومن ذلك التفرقة بين الواو والميم بمدة أو ألف لأن مخرج الواو والميم من مكان واحد . فيقول في الحديث عن حركة ألف الوصل في فعل الأمر : « وإذا بدىء بالواو فمنهم من يقول بالألف كما قال الله جل وعزّ في « طه » : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك) ﴿٥٤﴾ ، وإنما فعلوا ذلك لأن الواو والميم مخرجهما من مكان واحد ففرقا بينهما بمدة ، ومنهم من يقول بالألف ﴿٥٥﴾ .

د — إذا تتابعت الحروف وهى من جنس واحد يجعل مكان الحرف الأخير أحرفاً من غير ذلك الجنس فيقول : « وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفاً من غير ذلك الجنس . ومن ذلك قول الله عز وجل : (قد خاب من دسأها) ﴿٥٦﴾ معناه دسّسها .

(٥١) الجمل : ٢٢٣

(٥٢) الجمل : ٢٢٩

(٥٣) الجمل : ٢٣١

(٥٤) سورة طه آ : ١٣٢

(٥٥) الجمل : ٢٣٠

(٥٦) سورة الشمس آ : ١٠

ومثله قوله عز وجل : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى)^(٥٧) أى يتمطط فتحولت السين ، والطاء بياء^(٥٨) .

هـ - التخفيف على اللسان فى النطق فيقول : « وإنما دخلت التاء فى ستة لأن السين والذال مخرجهما من مكان واحد فأبدلت التاء بالذال لتخف على اللسان فى النطق »^(٥٩) .

و - ومن ذلك تعليله لكلمة « مذكر » فيقول : « (فهل من مذكر)^(٦٠) فأصله مذتكر اجتمع ذال وتاء ومخرجهما قريب من بعض فلما ازدحمتا فى المخرج أدغمت التاء فى الذال فأعقبت التشديد فتحولت دالا »^(٦١) .

وهذه العلل الصوتية تشعر بأن المصنف ضالع فى ذوق الحروف ، ودرس مخارجها إلا أن مأورده فى الحديث عن « ستة » وأصلها كان يحتاج إلى زيادة إيضاح فهو يرى أن الأصل « سدس » ولما كانت السين والذال مخرجهما من مكان واحد قلبت الذال تاء لتخف فى النطق وبذلك تؤول إلى سئس ، ولم يذكر المراحل التالية حتى آلت إلى « ست » وهذه الرؤية فى التحويل من سئس إلى « ست » تختلف عن رؤية سيويوه فهو يرى أن السين الأخيرة قلبت تاء^(٦٢) ، ولكنهما متفقان فى أن العلة هنا التخفيف على الألسنة إذ العبارة التى أوردها المصنف « لتخف على ألسنتهم فى النطق » نجدها فى العنوان عند سيويوه فى قوله : هذا ماكان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم^(٦٣) .

وقد ورد فى هذا الكتاب أعلام بعض النحويين واللغويين والقراء ومن هؤلاء^(٦٤)

(٥٧) سورة القيامة آ : ٣٣

(٥٨) الجمل : ٢٨١

(٥٩) الجمل : ٢٨٢

(٦٠) سورة القمر آ : ١٧

(٦١) الجمل : ٢٨٢

(٦٢) انظر كتاب سيويوه : ٤ : ٤٨١ ، ٤٨٢ تحقيق عبد السلام هارون .

(٦٣) كتاب سيويوه : ٤ : ٤٨١

(٦٤) انظر الجمل : ٦١ ، ١١٥ ، ١٨٠ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ٢٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥

يونس ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والفراء وابن دريد وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عباس ، وعائشة ، كما وردت الكلمات الآتية : « النحويون » ، « الكوفيون » ، « البصريون » « المفسرون » ، « بعض أهل المعرفة » . ومن ذلك قول المصنف .

« وزعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح فى سورة النساء (والمقيمين الصلاة)^(٦٥) ، (والصابرين فى السراء والضراء)^{(٦٦)(٦٧)} .
« والواو حشو على ما ذكر سيبويه النحوى »^(٦٨)

« ومن قرأ (تذكرة) بالرفع أراد : إلا أن تكون تذكرة . عن الفراء »^(٦٩) .
« قال : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي :
لعمري أيك ، الخير مارهط خندف تدافعهم عنك الرماح المداعس^(٧٠)

« وقد قرئ هذا الحرف ممدودا : (آندرتهم) قرأه عاصم ، وأبو عمرو بهمزتين »^(٧١)

« وأما قول الله تبارك وتعالى : (إن هذان لساحران) فقد ذكر عن ابن عباس أنه قال : إن الله تبارك اسمه أنزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب ... »^(٧٢) .

« وفى قراءة عائشة رضى الله عنها (إن هذين لساحران) »^(٧٣) .

وذكر هذه الأعلام فى كتب النحو مألوف حرصا من المصنفين على نسبة الآراء إلى أصحابها ، وقد يفعل بعض الشراح أو النساخ والمريدين هذا عندما

(٦٥) سورة النساء آ : ١٦٢

(٦٦) سورة البقرة آ : ١٧٧

(٦٧) الجمل : ٦١

(٦٨) الجمل : ٢٨٨

(٦٩) الجمل : ١٥٦

(٧٠) الجمل : ١٦٣

(٧١) الجمل : ٢٣١

(٧٢) الجمل : ١٣٢

(٧٣) الجمل : ١٣٥

يعكفون على إخراج كتب شيوخهم ، وقد يضيف بعض النساخ ما يوضح الأصل أو يتم فكرة أو ما يؤيد هذا فيحدث هذا الصنيع شبهة في نسبة الكتاب لصاحبه ، ولا سيما ذكر أعلام لم يعاصر أصحابها المصنف أو كانوا لاحقين له ، ومن ذلك ماورد بكتاب الجمل الذي يعد محور درسنا من ذكر لأبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد . وقد سقنا النص منذ قليل إذ يقدح ذلك في نسبة الكتاب للخليل ، ونعتقد أن ذلك من صنيع النساخ ويعزز ذلك عدم وجود هذه العبارة وبيت الشعر الذي يليها في نسختين من النسخ الثلاث التي اعتمد عليها محقق الكتاب^(٧٤) . وكذلك ماورد من ذكر للقراء ونسبة قراءة رفع (تذكرة) إليه ، وقد سقنا النص منذ قليل ، ويؤنسنا في ذلك أننا لم نقف على قراءة الرفع فيما رجعنا إليه من مصادر في القراءات^(٧٥) .

أما ذكر « الخليل بن أحمد » و « سيبويه » فقد ورد ذكرهما في كتاب العين ، ومن المؤلف أن يذكر المصنف أو كنيته ، كما ورد ذكر « سيبويه » في كتاب العين أيضا ومن ذلك : « قال سيبويه : وقد قالوا عقوته أى قلت له عقراً »^(٧٦) ، و « قال سيبويه : الكراع الماء الذي يكرع فيه »^(٧٧) .

وليس بعيد أن يذكر الخليل بن أحمد رأيا لسيبويه ، فقد ذكر الزجاجي مجلسا للخليل بن أحمد مع سيبويه^(٧٨) ونقله السيوطي في الأشباه والنظائر النحوية^(٧٩) ، ولم نذهب بعيدا وكتاب سيبويه يشهد بالحوار الدائر بين الشيخ وتلميذه في غير موضع .

أما ذكر الكلمات الدالة على جماعة من النحويين أو غيرهم فهي قليلة ،

(٧٤) انظر الخمل : ١٦٣ الحاشية ١٠

(٧٥) حنت عن القراءة في معاني القرآن للقراء ، ومختصر الشواذ من القرآن لابن حاليوه واختسب ، والسبعة والنشر والبحر المحيط واتحاف فضلاء البشر فلم أقف عليها .

(٧٦) العين : ١ : ١٧٣

(٧٧) العين : ١ : ٢٧٧

(٧٨) انظر محالس العلماء للرحاجي ٢٣١

(٧٩) انظر الأشباه والنظائر النحوية ٣ : ٦٦

وتتمثل في قول المصنف : « غير أن النحويين جعلوه بابا »^(٨٠) ، « من قال من النحويين إن الرفع جائز فقد لحن »^(٨١) . « ذكر النحويون أن معناه ولا تمنن مستكثرا »^(٨٢) . « وقال الكوفيون هذا لا يقاس عليه »^(٨٣) . « وقال البصريون لا يذهب القياس بحرف واحد »^(٨٤) ، « كما ذكر أهل النحو »^(٨٥) . « فيما ذكر لي بعض أهل المعرفة »^(٨٦) . « وقال بعضهم معناه : كونوا خير أمة ، وهو أصح مما فسره المفسرون »^(٨٧) .

وأشعر أن ذكر هذه العبارات ينبغي ألا يقدح في نسبة كتاب الجمل للخليل ، فقد ورد مثل ذلك في كتاب « العين » ومن ذلك : « وأهل النحو يقولون »^(٨٨) — « أصحاب التصريف »^(٨٩) . و « قال بعض النحويين »^(٩٠) ، « ولو حمّله نحوى على القياس فذكر وأنث كان صوابا »^(٩١) ، « وقال بعضهم شعوب » اسم المنية لا ينصرف ولا تدخل فيه ألف ولا لام ، لا يقال هذه الشعوب . « وقال بعضهم بل يكون نكرة »^(٩٢) . « قال أهل الكوفة »^(٩٣) ، « قال أهل البصرة »^(٩٤) .

وقد يذكر المصنف أسماء القبائل ومن ذلك قوله : « تميم ترفع هذا على الابتداء والخبر »^(٩٥) . « وأما تميم فترفع هذا كله »^(٩٦) . « غوقف على الهاء بالتاء على اللغة وهي حميرية . ويقال : لبعض بني أسد بن خزيمة »^(٩٧) .

وقد يجعل كلامه عاما ويستعمل كلمة العرب ، ومن ذلك قوله : « من شأن العرب التوسع في كل شيء »^(٩٨) . « إذا طال كلام العرب بالرفع نصبوا ثم رجعوا

| | |
|----------------------|----------------------|
| (٨٠) الجمل : ١١٣ | (٩٠) العين : ٤ : ٢٩٧ |
| (٨١) الجمل : ١١٥ | (٩١) العين : ١ : ٣٠٢ |
| (٨٢) الجمل : ١٤٢ | (٩٢) العين : ١ : ٣٠٨ |
| (٨٣) الجمل : ٤٩ | (٩٣) العين : ٥ : ١٤ |
| (٨٤) الجمل : ٥٠ | (٩٤) العين : ٥ : ١٤ |
| (٨٥) الجمل : ٦٣ | (٩٥) الجمل : ٩٣ |
| (٨٦) الجمل : ٢٠٣ | (٩٦) الجمل : ١٦٨ |
| (٨٧) الجمل : ١٢٥ | (٩٧) الجمل : ٢٧٢ |
| (٨٨) العين : ٢ : ٢٠٠ | (٩٨) الجمل : ٥٠ |
| (٨٩) العين : ٢ : ٢٠٢ | |

إلى الرفع»^(٩٩) «العرب إذا طال كلامهم بالرفع نصبوه»^(١٠٠) «قد يضمنون في الفعل الهاء»^(١٠١) «وقد يجعلون الاسم منه في موضع المصدر»^(١٠٢).

ومع قلة الإسناد للأشخاص والقبائل والطوائف لا نجد أثرا لما شاع في كتاب سيبويه من قوله حدثني أو أخبرني الثقة ، أو بلغنا أو سمعنا من العرب ، أو سمعنا ممن يوثق به ، فلا نجد من هذا القبيل إلا قوله : « وزعم يونس النحوى »^(١٠٣) ، وقوله : « فيما ذكر لي بعض أهل المعرفة »^(١٠٤) . فهل عدل المصنف عن هذا الأسلوب اختصارا ؟ أو لأنه كان مصدرا لغيره فهو حجة لا يحتاج إلى سند يعضده ؟

بقى أمر جدير بالذكر وهو ذلك الترابط بين محتويات الكتاب الذى يدل على أن المصنف واحد وليس الكتاب مجموعا من مصنفات شتى . وما يؤكد ذلك الترابط وحدة المصطلح ، وتكرار العبارة ، واتحاد الفكرة في محتويات الكتاب ونسوق أمثلة من ذلك :

١ — استعمال كلمة « السنخ » في مكان « الأصل » فيقول « ألف السنخ »^(١٠٥) و « لام السنخ »^(١٠٦) و « هاء السنخ »^(١٠٧) ، و « تاء السنخ »^(١٠٨) ، و « واو السنخ »^(١٠٩) ، « فاء السنخ »^(١١٠) ، « النون السنخية »^(١١١) و « باء السنخ »^(١١٢) ، ولم يستعمل كلمة الأصل إلا في موضع واحد وهو « الياء الأصلية »^(١١٣) .

وقد لاحظت أن سيبويه والمبرد والقراء وابن جنى والرماني في كتاب معاني الحروف وأبو بكر الأنباري في كتابه « مختصر الألفات » ، والمهروى

(١٠٧) السابق : ٢٦٥

(١٠٨) السابق : ٢٧٤

(١٠٩) السابق : ٢٨٥

(١١٠) السابق : ٣١٣

(١١١) السابق : ٣١٣

(١١٢) السابق : ٣١٦

(١١٣) السابق : ٣١٧

(٩٩) الجمل : ٦٢

(١٠٠) الجمل : ١٧٠

(١٠١) الجمل : ٣٦

(١٠٢) الجمل : ٣٧

(١٠٣) الجمل : ٦١

(١٠٤) الجمل : ٢٠٣

(١٠٥) الجمل : ٢٢٨

(١٠٦) الجمل : ٢٦٢

في الأزهية ، والشعالبي في فقه اللغة ، والرازي في الحروف، ولم يستعمل واحد منهم كلمة السنخ في وصف الحرف الأصلي من الكلمة لا ولم أجد هذا الاستعمال إلا عند ابن خالويه في « كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم » في قوله : « والأصل آآمنوا ، الهمزة الأولى تسمى ألف القطع والثانية مستحبة فاء الفعل »^(١١٤) .

٢ — يعلق المصنف على قول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أهلك إلا الفرقدان
« رفع الفرقدين لأنه أراد والفرقدان يفترقان فجعل إلا تحقيقا . وقال بعضهم إلا في موضع الواو »^(١١٥) .

ويقول في موضع آخر : « إلا بمعنى الواو مثل قول الشاعر :
وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أهلك إلا الفرقدان
معناه : « والفرقدان يفترقان »^(١١٦) .

٣ — يقول في حديثه عن النصب على القطع : « فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام »^(١١٧) ويقول في حديثه عن النصب على تمام الكلام : « فإنه لما أسقط الألف واللام نصب على القطع »^(١١٨) .

٤ — يقول : وأما قول النابغة :

كلينى لهم يأميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
فنصب أميمة لأنه أراد الترخيم فترك الاسم على أصله وأخرجه على التمام والنصب على نية الترخيم »^(١١٩) .

ويقول في موضع آخر : قال أبو كبير الهذلي :

(١١٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٧٥ .

(١١٥) الجمل : ١٥٥ .

(١١٦) الجمل : ٣٠ .

(١١٧) الجمل : ٣٨ .

(١١٨) الجمل : ٨٢ .

(١١٩) الجمل : ٨٤ .

أزهير هل عن شبيبة من معدل ؟ أم لاسبيل إلى الشباب الأول
معناه : يازهير فرخيم الهاء وترك الراء مفتوحة على أصلها « (١٣٠) » .

٥ — يقول : قال الشاعر :

أتوعدنى بقومك يا ابن حجل أشابات تخالون العبادا
أراد : وما كان حصن وعمرو مع الجياد ؟ فلما حذف « مع » وأضمر
« كان » « نصب » (١٣١)

وفي موضع آخر يقول تعليقا على البيت نفسه :
« فإنه حذف » « مع » وأضمر « كان » ونصب « (١٣٢) » .

٦ — يقول في حديثه عن الرفع بالصرف : « وقال الآخر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
رفع تعشو على معنى تأته عاشيا فصرف من النصب إلى الرفع « (١٣٣) » .

وقال في حديثه عن الجزم بالمجازاة تعليقا على البيت نفسه :
« رفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا إلى ضوء ناره ، فصرفه من
منصوب إلى مرفوع » (١٣٤) .

٧ — ويقول : « (وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله) معناه : ألا
تعبدوا ، فلما أسقط حرف الناصب رفع فقال لاتعبدون » (١٣٥) .

ويقول في موضع آخر : « وأما قوله تبارك وتعالى : (يخرجون الرسول ،
وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى
تسرون إليهم بالمودة) (١٣٦) معناه يخرجون الرسول ثم قال : وإياكم إن كنتم
خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى . فلما أسقط حرف الناصب
رفعه على الصرف ، قال تسرون كما قال تعالى في البقرة : (وإذا أخذنا

(١٣٠) الجمل : ٢٤٨

(١٣١) الجمل : ١٧٠

(١٣٢) الجمل : ٢٠٩

(١٣٣) الجمل : ١٤٣

(١٣٤) الجمل : ١٩٨

(١٣٥) الجمل : ١٤٠ . والآية : ٨٣ من سورة البقرة

(١٣٦) سورة الممتحنة آ : ١

- ميثاق بنى إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله (معناه ألا تعبدوا)^(١٢٧) .
- ٨ — ويقول : « وأما قوله تعالى فى البقرة : (إلا أن يعفون) فإنما أثبت هذه النون لأنها نون إضمار جميع المؤنث »^(١٢٨) .
- ويقول فى موضع آخر : « ونون إضمار جمع المؤنث : قوله تعالى (إلا أن يعفون) فجعل النون ضمير جمع المؤنث فى يعفون »^(١٢٩) .
- ٩ — يقول فى حديثه عن الرفع بالصرف : « ومثله : (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) معناه ثم ذرهم فى خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع »^(١٣٠) .
- ويقول فى حديثه عن الجزم بجواب الأمر : « ومثله : (ذرهم فى خوضهم يلعبون) أى لاعبين فصرف من منصوب إلى مرفوع »^(١٣١) .
- ١٠ — يقول : « وأما قوله عز وجل : (ولا تستعجل لهم . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) فرفع بلاغا على أنه خبر الصفة معناه فلا تستعجل لهم بلاغ »^(١٣٢) .
- ويقول فى موضع آخر : « وأما قوله فى الأحقاف : (ولا تستعجل لهم — كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار — بلاغ) فرفع بلاغا على أنه خبر الصفة معناه فلا تستعجل لهم بلاغ »^(١٣٣) .
- وهذه النماذج على سبيل المثال لالحصر^(١٣٤) . وهذا الترابط يؤكد — فى نظرنا — وحدة المصنّف ووحدة فكر المصنّف ووضوح المنهج الذى يتبعه فى فهم

(١٢٧) الجمل : ٢١١

(١٢٨) الجمل : ٢٠٨ . والآية رقم ٢٣٧ من سورة البقرة

(١٢٩) الجمل : ٣١٤

(١٣٠) الجمل : ١٣٠ . والآية رقم ٩١ من سورة الأنعام .

(١٣١) الجمل : ١٩٢

(١٣٢) الجمل : ١٤٢ . والآية رقم ٣٥ من سورة الأحقاف

(١٣٣) الجمل : ١٧١

(١٣٤) انظر أيضا : (٩٣ ، ٣٥) ، (١٧٠ ، ٣٠٩) ، (١٣٥ ، ٢٧٠) ، (١٤٦ ، ١٤٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١) (٢٥٥ ، ٢٥٧) ، (١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٩٢) ، (٣٨ ، ٩٦) .

الأصول وفي تطبيقها على الجزئيات سواء فيما يمثل القسم الأول وما يمثل القسم الثاني من الكتاب فالخيط الفكري فيهما واحد ، وذلك باستثناء الفصلين الأخيرين من الكتاب ، الأول : « فصل في رويد » ، والثاني : « فصل في الفرق بين « أم » و « أو » فهما منسلخان من نظام الكتاب لما يلي :

١ — لم يعقد المصنف عنوانا لمسألة من المسائل بكلمة فصل إلا في هذين الموضعين ، كما لم تظهر كلمة « فصل » في مصنفات القدماء إذ المستعمل في كتبهم كلمة باب كما في كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والجمل للزجاجي واللمع لابن جنى ، وقد ظهر استعمال كلمة فصل في الواضح للزبيدي (ت ٣٧٩) في غير موضع .

٢ — لم يبدأ بعد العنوان في الموضعين بالكلمات التي جرى استعمالها مثل : كقولك أو قولهم ، أو تقول ، أو نقول ، أو يقولون ، إنما بدأ فصل رويد بقوله : « يجيء على أربعة أوجه » وبدأ الفصل الثاني بقوله : « اعلم » ولم ترد كلمة اعلم في هذا الكتاب إلا في موضعين في هذا الموضع وفي حديثه عن ألف الاستفهام .

٣ — ورد في الحديث عن رويد اصطلاحان لم يردا في الكتاب إلا في هذا الموضع ، الاصطلاح الأول : « اسم الفعل » والاصطلاح الثاني : « المبني على الفتح » فهو يستعمل في مكان المبني على الفتح : « النصب على البنية »^(١٣٥) وعرض لاسم فعل الأمر تحت عنوان : « الخفض بالأمر »^(١٣٦) .

وقد يلفت النظر في هذا المصنف أنه تضمن بعض الألفاظ في كتابة البيت تجعله غير واضح في إعرابه ، فقد عرض المصنف خمسة أبيات فيها إلفاظ يخدع فيها النطق والرسم لو جرى الناظر على المنطوق من غير إدراك لتحديد الفواصل بين الكلمات وهامى ذى الأبيات .

(١٣٥) الحمل : ٨٥

(١٣٦) الحمل : ١٨٣

البيت الأول :

إن فيها أخيك وابن هشام وعليها أخيك والمختارا
ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « هذا لغز . يريد : أخى كوى من
الكى بالنار » (١٣٧) وعلى هذا كان ينبغي أن يكتب البيت كما يلي :
إن فيها أخى كوى ابن هشام وعليها أخى كوى المختارا

وهذا البيت من بحر الخفيف : فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن . ولما كان مستفع
لن فى هذا البحر هو ذو الوتد المفروق قوبل فى التقطيع والكتابة العروضية بفصل
كلمة كوى فلهقت الكاف بما قبلها والواو بما بعدها فى الشطرين . وعلى هذا
يلتبس إعراب كلمة أخيك .

والبيت الثانى :

★ ياخالِدِ المقتول لا تُقْتَلِ ★

ويعلق المصنف على هذا الشطر بقوله : « هو لغز يريد : ياخالِدِ المقتول ،
من الدية » (١٣٨) .

والبيت من السريع : مستفععلن مستفععلن فاعلن . والكتابة العروضية تقتضى
أن توصل الدال باللام التى قبلها على النحو التالى : ياخالِدِ ل / مقتوللا /
تقتل ، وعلى هذا يلتبس الأمر فى إعراب ياخالِدِ بكسر اللام .

البيت الثالث :

يارزاق الذُّرَّةَ الحمراء وابتها على خوانك ملخا غير مدقوق

ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « أزداد ياراز قد ذُرَّتِ الحمراء ، فأدغم
الدال فى الذال وشدد » (١٣٩) .

والبيت من بحر البسيط : مستفععلن فاعلن مستفععلن فاعلن : وتقتضى الكتابة
العروضية أن تلحق « قد » بما قبلها فى تكوين التفعيلة الأولى وتكتب عروضيا كما

(١٣٧) الجمل : ١٣١ ، ١٣٢

(١٣٨) الجمل : ١٣٩

(١٣٩) الجمل : ١٣٩

يلي : يَأَرَايَ قَدْ / ذَرَرْتُ / حمراء وب / نها . وإدغام دال « قد » في ذال « ذرت » أوقع في لبس في الكتابة فكتبت الذرة إلغازا بقاء مربوطة .

البيت الرابع :

وفي كتاب الحجاج أنساب معشر تعلمها منا يزيد ومزيديا

ويقول المصنف : « وقد يجعلون « مِنْ » بمعنى كذب من المين فيشتبه على السامع كما قال^(١٤٠) وأورد البيت ثم قال : معنى « منا » كذبنا . فلذلك نصب « يزيد » . و البيت من الطويل وليس للتقطيع العروضي أثر في إلغاز أو لبس بل اللبس في المادة اللغوية بمعنى أن « مِنْ » تكون حرف جر كما تكون فعل أمر بمعنى كذب ، وعند إسناد الفعل إلى ضمير المتكلمين يصير « مِنَّا » بإدغام النونين .

البيت الخامس :

إنما أم خالّد يوم جاءت بغلة الزينبيّ من قصر ، زيدا

ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « وقوله : من قصر زيدا : من كذب ، قصر : اسم منادى كأنه قال كذب يا قصر ، كذب زيدا »^(١٤١) ، والبيت من الخفيف وليس للتقطيع العروضي أثر في إلغاز أو لبس كما قلنا في البيت السابق .

ونلاحظ أن إلغاز في كتاب الجمل يرجع إما إلى النطق والكتابة المطابقة له فيحدث لبس في تحديد الفواصل بين الكلمات ، وإما إلى المادة اللغوية التي تلتبس فيها الصيغة الصرفية بغيرها وتضطرب المعاني وتفصح العلامة الإعرابية ذلك اللبس وذلك الاضطراب وترشد إلى موطنه . وهذا النمط من إلغاز يختلف عما عرف بالإنغاز والأحاجي النحوية التي بسطها الحريري (ت ٥١٦ هـ) والزنجشري (ت ٥٣٨ هـ) ومن أتى بعدهما .

فهل يقدح وجود هذا النمط من إلغاز في نسبة الكتاب إلى الخليل ؟
« استطيع أن أقول إن هذا النمط ليس بغريب على رجل العروض الأول إذا أوما إليه

(١٤٠) الجمل : ١٧٧

(١٤١) الجمل : ١٧٧

وكشف عن مثل هذا اللبس . وقد ورد عن الخليل كلام في الإلغاز . جاء في مراتب النحويين لأبي الطيب : « حدثنا عبد القدوس بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن يحيى : حدثني جماعة عن الأصمعي عن الخليل قال : رأيت أعرابيا يسأل أعرابيا عن البلصوص ماهو ؟ فقال : طائر ، قال فكيف تجمععه ؟ قال البلنصي ، قال الخليل : فلو ألغز رجل فقال :

* فما البلصوص يتبع البلنصي * كان لَغْزًا ^(١٤٢)

وقد تضمن هذا الكتاب مسلمات في البحث النحوي نجدها مستقرة في كتاب سيبويه ومن ذلك :

١ — الفتحة أخف من الضمة والكسرة . والألف أخف من الياء والواو . قال المصنف : « فألزمنا فيهما الفتحة التي هي أخف الحركات » ^(١٤٣) . ويقول أيضا : « لأن الألف أخف بنات المد واللين » ^(١٤٤) . وقال سيبويه : الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة ، كما أن الألف أخف عليهم من الياء والواو » ^(١٤٥) .

٢ — التنكير سابق على التعريف : قال المصنف : « إلا أن النكرة أشد تمكنا من المعرفة لأن أصل الأشياء نكرة ويدخل عليها التعريف » ^(١٤٦) . وقال سيبويه : « وأعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكنا لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به » ^(١٤٧) .

٣ — التصغير يرد الأشياء إلى أصولها . قال المصنف : التاء التي في ستة أصله سدسة . والدليل على ذلك

(١٤٢) مراتب النحويين : ١٠٤

(١٤٣) الجمل : ٥٦

(١٤٤) الجمل : ١٣٢

(١٤٥) كتاب سيبويه ٤ : ١٦٧ ، وانظر ٤ : ١٨٨

(١٤٦) الجمل : ١٢٠

(١٤٧) كتاب سيبويه : ١ : ٢٢ وانظر ٣ : ٢٤١

أنك إذا صغرت أو نسبت قلت : سديس وسدسي^(١٤٨) .
قال سيبويه : « وترد الذي هو من أصل الحرف إذا حقته كما تفعل
ذلك إذا كسرتة للجمع »^(١٤٩) والتحقيق : بمعنى التصغير والاصطلاحان
واردان في كتاب سيبويه .

٤ — الأسماء قبل الأفعال :

قال المصنف : « لأن الأسماء قبل الأفعال وذلك أنها لا تستغنى عن
الأسماء يقولون رجلان في الدار ، ويقولون الله ربنا ، ومحمد نبينا ، فاستغنى
الاسم عن الفعل وهم إذا قالوا : قاما ، وقاموا لم يستغن الفعل عن
الاسم »^(١٥٠) .

وقال سيبويه : الأفعال أثقل من الأسماء لأن الأسماء هي الأولى وهي
أشد تمكنا ... ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما
والاسم قد يستغنى عن الفعل تقول الله إلهنا ، وعبد الله أخونا »^(١٥١) .

٥ — الجر في الأسماء نظير الجزم في الأفعال .

قال المصنف : كما أن الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء^(١٥٢) .

وقال سيبويه : « الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء »^(١٥٣) .

هذه نظرة عامة لكتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد عرضنا فيها منهج
الكتاب والعلل التي ساقها مصنفه والأعلام والطوائف التي وردت فيه ، وأبرزنا
الترابط بين جزئياته وأفكاره ومصطلحاته وما جاء به مما يعد مسلمات في نظر
النحويين القدماء .

(١٤٨) الجمل : ١٨٢

(١٤٩) كتاب سيبويه ٣ : ٤٥٧

(١٥٠) الجمل : ٢٣٦

(١٥١) كتاب سيبويه ١ : ٢٠

(١٥٢) الجمل : ٢٢٧

(١٥٣) كتاب سيبويه ٣ : ٩ وانظر أيضا ١ : ١٩

الفصل الثانى

آراء الخليل

منزلة الخليل بين النحويين غنية عن البيان ، فهو شيخهم بلا منازع ، وهو وراء كتاب سيبويه بلا جدال ، نقل عنه سيبويه جل آرائه ، وإذا كنا نعرض في هذا الفصل لآراء الخليل فإنما نعني أن نفحص كتاب الجمل المنسوب للخليل في ضوء ما نسب إليه من آراء ، ونفحص آراءه في ضوء كتاب الجمل أيضا .

ونرى أن المصدر الأول لآراء الخليل ينبغي أن يكون كتاب العين وإن كان معجما ، ثم يليه كتاب سيبويه ، ولا يلزم أن يتضمن كتاب الجمل المنسوب للخليل كل مانسب إليه ، ولكن الذي يعيننا في المقام الأول أن نجد صدى لما نسب إليه في كتاب الجمل . وبناء على ذلك سنعرض لآراء الخليل من ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : آراء الخليل الواردة في كتاب العين وصداها في كتاب الجمل .

الجانب الثاني : آراء الخليل المنسوبة إليه في كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وصداها في كتاب الجمل .

الجانب الثالث : الآراء الواردة في كتاب الجمل ولم تنسب للخليل في كتب النحو .

أولا : آراء الخليل الواردة في كتاب العين وصداها في كتاب الجمل .

ندرك أن كتاب العين معجم لغوي ، ولكن الخليل ضمنه بعض إشارات نحوية قد تعين في الكشف عن نسبة كتاب الجمل إلى الخليل صاحب معجم العين ، ويتبع ما نشر من هذا المعجم نلمح اتفاقا في أفكار ومسائل متصلة بالنحو والصرف ومن ذلك :

١ — النصب بالصرف :

جاء في الجمل : « نصب لأنه مصروف عن جهته »^(١)

(١) الجمل : ٦٨

وجاء في كتاب العين : « والمصروف ينصب ليعلم أنه منقول من حال إلى حال »^(٢) .

ففكرة النصب بالصرف عدولا عن الرفع كانت ماثلة في ذهن الخليل حقا كما في كتاب العين ، ولم تكن خاصة بالكوفيين كما يشيع في مفهوم كثير من الدارسين قدماء ومحدثين ، ولكنها لم تظهر في كتاب سيبويه ، وعدم ظهورها في كتاب سيبويه لايعنى أنها كوفية محضة ، وسيأتى تفصيل ذلك في حديثنا عن المصطلحات إن شاء الله .

٢ — حذف حرف القسم وبقاء المقسم به مجرورا

جاء في الجمل : « وبعضهم يضمرون حرف القسم ويجرون به فيقولون : « الله لأزروك »^(٣) .

وجاء في العين : « وتقول العرب : الله ما فعلت ذاك تريد والله ما فعلته »^(٤) .

٣ — توجيه عمرك الله .

جاء في الجمل : « وأما عمرك الله فعلى معنى : عمّرتك الله أى سألت الله لك طول العمر »^(٥) .

وجاء في العين : « وتقول عمرك الله أن تفعل كذا . هذا إن تحلفه بالله أو تسأله طول عمره »^(٦) .

٤ — كثرة حالات النصب على حالات الرفع والجر :

جاء في الجمل : « وإنما بدأنا بالنصب لأنه أكثر الإعراب طرفا ووجوها »^{*} .

وجاء في العين : « والنصب خزانة النحو ... أى معولهم عليه أكثر من

سائره » **

(٥) الجمل : ١٠٨ ، ١٠٩

(٦) العين : ٢ : ١٣٧

* الجمل : ٣٣

* * العين : ٤ : ٢٠٩

(٢) العين : ٢ : ٥٢

(٣) الجمل : ١٠٨

(٤) العين : ٤ : ٩٠

هـ — كف النون من المثني لغير إضافة :

جاء في الجمل : وأما قول الأخطل .

أبنى كليب إن عمي اللذا قتل الملوك وفككا الأغلالا

أراد اللذان فحذف النون . وقال آخر :

إن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يأثم خالد

أراد إن الذين فكف النون ، وقال امرؤ القيس :

لها متنان خطاتا ، كما أكب على ساعديه التمر

ثم قال : « ومنه قول الله تبارك وتعالى في الحج في حرف من يقرأ : (والمقيمين

الصلاة) أراد المقيمين الصلاة فكف النون ونصب الصلاة »^(٧) .

وجاء في العين : خطا يخطو وخطى يخطى فهو خاط إذا اكتنز لحمه ، قال :

لها متنان خطاتا كما أكب على ساعديه التمر

وقال بعض النحويين : كف نون خطاتان كما قالوا في الرفع « اللذا » وهم

يريدون اللذان . وعلى هذا الكف في قراءة : (والمقيمين الصلاة) فنصب

الصلاة »^(٨) .

٦ — الهاء علامة للتأنيث

جاء في الجمل : « وهاء التأنيث مثل كلمة وضربة وجنة وشجرة

وقلنسوة »^(٩) .

وجاء في العين : قال الليث قلت للخليل ما علامة اسم التأنيث ؟ قال ثلاثة

أشياء الهاء في قولك قائمة والمد في حمراء ، والياء في حلقى وعقرى »^(١٠) .

فاستعمال الخليل التعبير بهاء التأنيث في كتاب العين يشعر بأنه تعبير قديم

(٧) الجمل : ٢١٦ ، ٢١٧

(٨) العين ٤ : ٢٩٧

(٩) الجمل : ٢٦٩

(١٠) العين ٤ : ٣٦٢

وقد ورد في كتاب سيبويه أيضا فعقد بابا بعنوان « هاءات التأنيث »^(١١) .

٧ — الهاء للمبالغة :

جاء في الجمل : « وهاء المبالغة والتفخيم مثل قولهم رجل علامة ونسابة »^(١٢) .

وجاء في العين : ورجل مجاعة : أى كثير التمجع مثل علامة ونسابة قال الخليل يدخلون الهاء في نعوت الرجال للتوكيد »^(١٣) .

والغرض من التوكيد هنا المبالغة .

وهكذا نشعر بأن بين كتاب الجمل وكتاب العين سببا ، ولم يصنف الخليل كتاب العين ليكون كتاب نحو ولكننا التقطنا منه بعض ماتناثر في ثناياه ووجدنا له صدق في كتاب الجمل لعله يؤنسنا فيما نحن بصددده .

ثانيا : آراء الخليل المنسوبة إليه في كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وصداها في كتاب الجمل .

وإذا تابعنا الآراء التي نسبت للخليل في كتاب سيبويه وبحثنا عن صداها في كتاب الجمل فإننا نجد قدرا مشتركا ولايلزم أن يتضمن كتاب الجمل كل آراء الخليل المنسوبة له في كتاب سيبويه بل الذى يعنينا ألا نجد تناقضا بين ماينسبه سيبويه للخليل ومايرد في الجمل . وهذا القدر المشترك بين الكتاين يتمثل فيما يلي :

قال سيبويه : « ومثل ذلك فيما زعم الخليل :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ولو تعزيت عنها أمّ عمار

قال الخليل رحمه الله : لما قال هيجنى عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكره الحمام

(١١) كتاب سيبويه ٣ : ٢٢٠

(١٢) الجمل : ٢٦٨

(١٣) العين ١ : ٢٨٠

وتهيبجه فألقى ذلك الذى قد عرف منه على أم عمار كأنه قال هيجنى فذكرنى أم عمار^(١٤) .

وجاء فى الجمل : « وقال آخر :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ولو تعزيت عنها أم عمار

نصب أم عمار على معنى هيجنى فذكرت أم عمار^(١٥) .

فما نسه سيبويه للخليل . موجود فى الجمل والشاهد هو هو^(١٥) .

٢ — قال سيبويه : « باب ما يجىء من المصادر منتصبا على إضمار الفعل

المترك إظهاره . . وذلك قولك حنانيك كأنه قال : تحننا بعد تحن قال

الشاعر وهو طرفة بن العبد :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهو من بعض

وزعم الخليل رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحننا بعد تحن كأنه قال كلما

كنت فى رحمة وخير فلا ينقطعن وليكن موصولا بآخر من رحمتك^(١٦) .

وجاء فى الجمل :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

كأنه قال رحمتيك لأن التحنن من الرحمة أى ارحمنا رحمة بعد رحمة^(١٧) .

فالاتفاق واضح فى المضمون مع الاتحاد فى الشاهد .

٣ — قال سيبويه : « وزعم يونس أن لبيك اسم واجد ولكنه جاء على هذا

اللفظ فى الإضافة كقولك عليك . وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حوالبك^(١٨) .

وجاء فى الجمل : وأما قولك (لبيك) إنما يريدون : قربا ودنوا على معنى إلباب

بعد إلباب أى قرب بعد قرب فجعلوا بدله لبيك ... وإذا قالوا أنا لبّ فأما يريدون

(١٤) كتاب سيبويه ١ : ٢٨٦

(١٥) الجمل : ١٠٤

(١٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٤٨

(١٧) الجمل : ١٥٣

(١٨) كتاب سيبويه ١ : ٣٥١

قريب منك مرة واحدة ، وإذا قالوا لبيك أرادوا ، أنا قريب منك أنا قريب منك مرتين » فما نسبه سيبويه للخليل واضح في كتاب الجمل .

٤ — قال سيبويه : « وذلك قولك ما أحسن عبد الله . زعم الخليل أنه بمنزلة قولك شيء أحسن عبد الله ، ودخله معنى التعجب وهذا تمثيل ولم يتكلم به »^(٢٠) .

وجاء في الجمل : « والنصب بالتعجب قولهم : ما أحسن زيدا وما أكرم عمرا ! وهو في التمثال بمنزلة الفاعل والمفعول به كأنه قال شيء حسن زيدا »^(٢١) .

فما نسبه سيبويه للخليل مطابق لما جاء في الجمل فيما يتصل يتصور أسلوب التعجب ، وعبرة « وهذا تمثيل ولم يتكلم به » مساوية لعبارة « وهو في التمثال بمنزلة الفاعل والمفعول به » .

٥ — قال سيبويه : « قال الخليل : هو كائن أخيك على الاستخفاف والمعنى كائن أخاك »^(٢٢) .

وجاء في الجمل : والنصب من خلاف المضاف : قولهم : هذا ضارب زيدا ، تخفض زيدا بإضافة ضارب إليه ، فإذا أدخلت التنوين على ضارب خالفت الإضافة ، وصار كالمفعول به فتنصب زيدا بخلاف المضاف »^(٢٣) .

فمعنى كلام سيبويه أن الخليل يرى أن التنوين حذف للخفة ولو ظهر التنوين لاستحق المضاف إليه النصب على أنه معمول لاسم الفاعل العامل عمل فعله ، وهذا المعنى هو مفهوم ما جاء في الجمل .

٦ — قال سيبويه : « وزعم يونس أن من العرب من يقول : النازلون بكل معترك والطيبين ، فهذا مثل (والصابرين) ... وزعم الخليل أن نصب هذا (أى

(١٩) الجمل : ١٥٣ ، ١٥٤

(٢١) الجمل : ٤٩

(٢٢) كتاب سيبويه ١ : ١٦٦

(٢٣) الجمل : ٧١

الطيبين والصابرين) على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعله ثناء وتعظيما ونصبه على الفعل كأنه قال : اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين » (٢٤) .

وجاء في الجمل : « وزعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح في سورة النساء (والمقيمين الصلاة) و (والصابرين في البأساء والضراء) ... وإنما ينصب المدح والذم والترحم والاختصاص على إضمار أعنى » (٢٥) .

فما ورد في كتاب سيبويه وكتاب الجمل يتضمن ذكر يونس مصدرا بالفعل « زعم » وكذلك فكرة النصب على المدح والثناء والتعظيم ، وكذلك إضمار فعل ناصب في هذا التركيب ، وهو منسوب للخليل في كتاب سيبويه صريح في كتاب الجمل .

٧ — قال سيبويه : وزعم الخليل أنه يقول : مررت به المسكين على البدل وفيه معنى الترحم ... وكان الخليل يقول : إن شئت رفعته من جهتين وإن شاء قال : مررت به المسكين ... وفيه معنى الترحم » (٢٦) .

وجاء في الجمل : « والنصب بالترحم قولهم مررت به المسكين . نصبت المسكين على أنك رحمته » (٢٧) .

فنصب المسكين في هذا التركيب على معنى الترحم منسوب للخليل في كتاب سيبويه ووارد في كتاب الجمل .

٨ — قال سيبويه : هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة . وذلك هذا عبد الله منطلق ، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب وزعم أن رفعه يكون على وجهين فوجه أنك حين قلت ، هذا عبد الله أضمرت

(٢٤) كتاب سيبويه ٢ : ٦٥

(٢٥) الجمل : ٦١ ، ٦٢ . والآية الأولى رقم ١٦٢ من سورة النساء . والآية الثانية رقم ١٧٧ من سورة البقرة .

(٢٦) كتاب سيبويه ٢ : ٧٥

(٢٧) الجمل : ٦٤

هذا أوهو كأنك قلت هذا منطلق أو هو منطلق» (٢٨) .

وجاء في الجمل : « والنصب من القطع مثل قولك هذا الرجل واقفا ... قال جرير :

هذا ابن عمى في دمشق خليفة
لوشئت ساقكم إلى قطينا
نصب خليفة على القطع من المعرفة .. ولو رفع على معنى هذا ابن عمى هذا
خليفة لجاز» (٢٩) .

فتوجيه الرفع في مثل هذا التركيب المنسوب للخليل في كتاب سيويه وارد في
كتاب الجمل .

٩ — قال سيويه : « وقال الخليل رحمه الله : وإن شئت جعلت (مَنْ)
بمنزلة إنسان وجعلت (ما) بمنزلة شيء نكرتين ويصير منطلق صفة لمن . ومهين
صفة لما . وزعم أن هذا البيت عنده مثل ذلك وهو قول الأنصاري :
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمدا إيانا» (٣٠)

وجاء في الجمل : « وقال الشاعر هو حسان بن ثابت :
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمدا إيانا
(مَنْ) نكرة كأنه قال : على حي غيرنا . وقد رفعه ناس وهو أجود» (٣١) .
فاستعمال (مَنْ) نكرة المنسوب في كتاب سيويه للخليل مطابق لما جاء في
كتاب الجمل مع الاتفاق في الشاهد .

١٠ — وقال سيويه : « وزعم الخليل أن هذا (أى الإضمار في قولهم إن بك
زيد مأخوذ) يشبه قول من قال وهو الفرزدق :
فلو كنت ضييا عرفت قرابتى ولكن زنجي عظيم المشافر

(٢٨) كتاب سيويه ٢ : ٨٣

(٢٩) الجمل : ٢٨ .

(٣٠) كتاب سيويه ٢ : ١٠٥

(٣١) الجمل : ٨٩

.... أضمر « هذا » كما يضم ما بيني على الابتداء « (٣٢)

وجاء في الجمل : وقال آخر :

فلو كنت ضييا عرفت قرابتى ولكن زنجي عظيم المشافر
أراد ولكنك زنجي عظيم المشافر « (٣٣) .

ففكرة الإضمار في توجيه البيت واردة في الكتاين كما أن الرواية واحدة ، أي برفع زنجي .

١١ — قال سيويه : « وقال الخليل : إن من أفضلهم كان زيدا على إلغاء كان وشبهه بقول الشاعر وهو الفرزدق :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام « (٣٤) .

وجاء في الجمل : وتقول مررت بقوم كانوا كرام ، ألغيت (كان) وأردت مررت بقوم كرام . قال الفرزدق :

فكيف إذا أتيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام « (٣٥)

فالشاهد واحد والتخريج المنسوب للخليل في كتاب سيويه هو الوارد في كتاب الجمل .

١٢ — قال سيويه : وقال الخليل رحمه الله : اللهم نداء والميم هاهنا بدل من الياء « (٣٦) .

وجاء في الجمل : « ومعنى اللهم أرادو أن يقولوا : يا الله فثقل عليهم فجعلوا

مكان حرف النداء الميم ، وجعلوا الميم بدلا من حرف النداء ، فقالوا اللهم « (٣٧) .

فالرأى المنسوب في كتاب سيويه للخليل هو المذكور في كتاب الجمل .

(٣٢) كتاب سيويه ٢ : ١٣٥ ، ١٣٦

(٣٣) الجمل : ٢١٣

(٣٤) كتاب سيويه ٢ : ١٥٣

(٣٥) الجمل : ١٢٤

(٣٦) كتاب سيويه ٢ : ١٩٦

(٣٧) الجمل : ١١٠

١٣ — قال سيبويه : وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم : ياطلحة أقبل يشبه
ياتميم تميم عدى من قبل أنهم قد علموا أنهم لو لم يجيئوا بالهاء مكان آخر الاسم
مفتوحا فلما ألحقوا الهاء تركوا الاسم على حاله التى كان عليها قبل أن يلحقوا
الهاء . وقال النابغة الذبياني :

كلينى لهم يأميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وجاء فى الجمل : وأما قول النابغة :

كلينى لهم يأميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فنصب أميمة لأنه أراد الترخيم فترك الاسم على أصله وأخرج على التمام ونصب
على نية الترخيم^(٣٩) .

فالشاهد واحد والتوجيه غير مختلف .

١٤ — قال سيبويه :

« هذا لعمركم الصغار بعينه لأتم لى إن كان ذاك ولأب »

فرعم الخليل رحمه الله أن هذا يجرى على الموضع لا على الحرف الذى عمل فى
الاسم كما أن الشاعر حين قال :

« فلسنا بالجبال ولا الحديد » أجراه على الموضع^(٤٠)

وجاء فى الجمل : « ماكان من نصب على الموضع لا على الاسم : أزورك
اليوم أو غدا . ولستم بالكرام ولا السادة ، قال عقبة الأسدى :

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

نصب الحديد على موضع الجبال^(٤١) .

فتخرى البيت على الجرى على الموضع المنسوب للخليل فى كتاب سيبويه ،
والتنظير له مماثل تماما لما فى كتاب الجمل .

(٣٨) كتاب سيبويه ٢ : ٢٠٧

(٣٩) الجمل : ٨٤

(٤٠) كتاب سيبويه ٢ : ٢٩٢

(٤١) الجمل : ٧٤

١٥ — قال سيبويه : « زعم الخليل ويونس جميعا أنه يجوز ماأتاني غير زيد وعمرو فالوجه الجسر . وذلك أن غير في موضع « إلا زيد » وفي معناه فحملوه على الموضع » (٤٢) .

وجاء في الجمل : « والرفع بالحمل على الموضع كقول الشاعر :
ولم يجدوا إلا مناخ مطيئة تجافى بها زور نيسل وكلكل
ومفحصها عنها الحصى بجرانها ومشى نواج لم يَخْنُهْن مَفْصِلُ
وسمر ظمء واترتهن بعدما مضت هجعة من آخر الليل ذُبُلُ
رفع سُمرًا ولم ينسقه على الاستثناء لأنه حمله على المعنى لأنك إذا قلت : لم أر
في البيت إلا رجلين فهو في معنى في البيت رجلان ... » (٤٣) .
فالرفع بالحمل على الموضع الذى نسبه سيبويه للخليل نجده مطابقا لما في
كتاب الجمل .

١٦ — قال سيبويه : « وكان الخليل يقول : والله إنه لعظيم جعلهم « هو »
فصلا في المعرفة وتصييرهم إياها بمنزلة « ما » إذا كانت لغوا » (٤٤) .
وجاء في كتاب الجمل : « وتقول هم قوم كرام فإذا جعلت هذه الحروف
فصلا بين حروف الترائى وحروف « كان » لم تعمل شيئا وأجريت الكلام على
أصله كقولك كان عمرو هو نجيرا منك » (٤٥) .
وهذا يعنى أن نظرة الخليل إلى ضمير الفصل المنسوبة له هى المستقرة في
كتاب الجمل فمصنفه بصرى .

١٧ — قال سيبويه : وسألت الخليل عن قوله :
متى تأتينا تلمم بنا فى دارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججها

(٤٢) كتاب سيبويه ٢ : ٣٤٤

(٤٣) الجمل : ١٤٤

(٤٤) ١ كتاب سيبويه ٢ : ٣٩٧

(٤٥) الجمل : ١٦٧

قال تلمم بدل من الفعل الأول ونظيره في الأسماء : مررت برجل عبد الله ،
فأراد أن يفسر الإتيان بالإمام ^(٤٦) .

وجاء في الجمل : وقال الشاعر :

متى تأتينا تلمم بنا في دارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججها
ومجازه متى تأتينا تلمم بنا على البدل والإمام هو الإتيان ^(٤٧) .

فالمطابقة بين النصين لا تحتاج إلى بيان فالشاهد واحد وكذلك الإعراب
واستعمال مصطلح البدل ، وتفسير الإمام بالإتيان .

١٨ — قال سيبويه : « وسألته عن قوله جل وعز : (ومن يفعل ذلك يلق
آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة) فقال هذا كالأول لأن مضاعفة العذاب هو
لقى الآثام ^(٤٨) .

وجاء في الجمل : قال الله تبارك وتعالى في الفرقان : (ومن يفعل ذلك يلق
آثاماً يضاعف له العذاب) جزم يضاعف على البدل ^(٤٩) .

ويريد سيبويه بقوله كالأول البيت الأول ، أى أن يضاعف بدل من يلق ، وقد
أورد سيبويه ثلاثة أسئلة وجهها إلى الخليل في هذا الموضع ، الأول : عن قول
الشاعر :

متى تأتينا تلمم بنا في دارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججها

والثاني : عن قولنا : إن تأتينا تسألنا نعطك . فتبين له أن جزم تسألنا ليس
على ما كان عليه البيت السابق بل على أنه يدل غلط أو نسيان . والثالث عن
هذه الآية الكريمة .

١٩ — قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله : « إن تأتني فتحدثني
أحدثك وإن تأتني وتحديثي أحدثك ، فقال هذا يجوز والجزم الوجه ^(٥٠) .

(٤٦) كتاب سيبويه ٣ . ٨٦

(٤٧) الجمل : ١٩٧

(٤٨) كتاب سيبويه ٣ : ٨٧

(٤٩) الجمل : ١٩٧

(٥٠) كتاب سيبويه ٣ . ٨٨

وجاء في الجمل : « قال الله تبارك وتعالى : (ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) جزم يستكبر لأنه عطفه بالواو على الأول »^(٥١) .

ولما كان الجزم هو الوجه كما ذكر سيبويه عن الخليل اكتفى مصنف كتاب الجمل شاهد الجزم .

٢٠ — قال سيبويه : وقال معروف :

كونوا كمن واسى أخاه بنفسه نعيش جميعا أو نموت كلانا
كأنه قال : كونوا هكذا إنا نعيش جميعا أو نموت كلانا إن كان هذا أمرنا .
وزعم الخليل : أنه يجوز أن يكون نعيش محمولا على كونوا كأنه قال كونوا نعيش جميعا أو نموت كلانا »^(٥٢) .

وجاء في الجمل : وقال آخر :

كونوا كمن آسى أخاه بنفسه نعيش جميعا أو نموت كلانا
رفع على معنى أنا نعيش جميعا لولا ذلك لجزم »^(٥٣) .

وإذا بدا هنا عدم مطابقة ما جاء بكتاب الجمل لرأى الخليل المنسوب له في كتاب سيبويه . فإننا نقول إن سيبويه علق على البيت بقوله : كأنه قال كونوا هكذا إنا نعيش جميعا . وهذا التعليق يتفق مع ماورد في كتاب الجمل ، أما ما ذكره سيبويه عن الخليل من جواز تقدير آخر فلا يلزم أن يذكره الخليل في مصنف له فقد يهمل المصنف رأياً له ويذكره بعض تلاميذه في مصنفاتهم .

٢١ — قال سيبويه : « وقال الخليل وإذا فصلت بين كم وبين الاسم بشيء استغنى عليه السكوت أو لم يستغن فاحمله على لغة الذين يجعلونها باسم منون ...
تألى زهير :

(٥١) الجمل : ٢٠٠

(٥٢) كتاب سيبويه ٣ : ٤٩٦ ، ٤٩٧

(٥٣) الجمل : ١٩٣

تؤم سنانا وكم دونه من الأرض محدودبا غارها
وقال القطامي :

كم نالني منهم فضلا على عديم إذ لأزال من الإقتار أجتمل^(٥٤)

وجاء في الجمل : « قولهم : كم رجل عندك أراد رب رجل عندك . فإذا
فصلت نصبت فقلت كم عندك رجلا قال زهير :

تؤم سنانا وكم دونه من الأرض محدودبا غارها
وقال آخر :

كم هجود مقرفا نال العلى وكريما فخله قد وضعه
وقال القطامي :

كم نالني فضلا على عدم إذ لأزال من الإقتار أجتمل^(٥٥)

فما نسبه سيبويه للخليل ماثل في كتاب الجمل بشواهد كما نرى .

٢٢ — قال سيبويه : « وسألته عن قوله : لتفعلن إذا جاءت مبتدأة ليس
قبلها ما يحلف به . فقال : إنما جاءت على نية اليمين وإن لم يتكلم بالمحلف
به »^(٥٦) .

وجاء في الجمل : وإذا لم يتقدم لام الشرط لام التأکید فلا بد للام التأکید أن
يكون قبلها إضمار القسم مثل قوله تعالى : (لتبلون) معناه والله لتبلون^(٥٧) .
فنية اليمين تعنى إضمار القسم . ومانسبه سيبويه للخليل واضح في كتاب
الجمل .

٢٣ — قال سيبويه في باب أم المنقطعة : « وزعم الخليل أن قول الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
كقولك إنها لإبل أم شاء »^(٥٨) .

(٥٤) كتاب سيبويه ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥

(٥٥) الجمل : ٩٧

(٥٦) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٥

(٥٧) الجمل : ٢٥٦

(٥٨) كتاب سيبويه ٣ : ١٧٤

وجاء في الجمل : « وقد تضع العرب أم في موضع بل كقول الأخطل :
كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
معناه : بل رأيت بواسط »^(٥٩) .

فالاتفاق في الشاهد والتوجيه واضح .

٢٤ — قال سيبويه : « ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام : « هذا جحر
ضبٌ خرب . فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب ، وأفصحهم وهو القياس لأن
الخرب نعت للجحر ، والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يحجروه ، وليس بنعت
للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف إلى النصب فجروه لأنه نكرة كالنصب ،
ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ولأنه في موضع صار فيه هو والنصب بمنزلة
اسم واحد . ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم بهم
وبدارهم ، ومما أشبه هذا ، وكلا التفسيرين تفسير الخليل ، وكان كل واحد منهما
عنده وجهها من التفسير »^(٦٠) .

وجاء في الجمل : « كما قالوا : هذا جحر ضب خرب ، خفض خربا وهو من
نعت الجحر وإنما خفضه لقربه من الضب »^(٦١) .

فتفسير الجر المنسوب للخليل في كتابه سيبويه مفسر وموضح في كتاب
الجمل .

٢٥ — قال سيبويه : وسألت الخليل عن قوله عز وجل : (فأصدق وأكن
من الصالحين) فقال هذا كقول زهير :
بدا لي أنى لست مدرك ماضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

فإنما جروا هذا لأن الأول قد يدخله الباء فجاءوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول
الباء ، فكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد يكون جزما ولافاء فيه ، تكلموا
بالثاني وكأنهم قد جزموا قبله فعلى هذا توهموا »^(٦٢) .

(٥٩) الجمل : ٢٩٣

(٦٠) كتاب سيبويه ١ : ٤٣٦ ، ٤٣٧

(٦١) الجمل : ١٧٥

(٦٢) كتاب سيبويه ٣ : ٣٠٠ . والآية رقم ١٠ من سورة « الماعون »

وجاء في الجمل : وقال أيضا : (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) أى هلا أخرتني .. وأكن . كأنه جعله نسقا بالواو على جواب الاستفهام ولم يعبأ بعمل الفاء (٦٣) .

فتوجيه الجزم في « أكن » المنسوب للخليل في كتاب سيبويه يتفق مع التوجيه الوارد في كتاب الجمل وإن اختلف التعبير .

٢٦ — قال سيبويه : « وقال الخليل رحمه الله : من قال يازيد والنضر فنصب فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التي يرد فيها الشيء إلى أصله فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون يازيد والنضر ، وقرأ الأعرج : (ياجبال أوى معه والطير) فرفع ويقولون ياعمرو والحارث . وقال الخليل رحمه الله وهو القياس » (٦٤) .

وجاء في الجمل : والنصب الذى يقع في النداء المفرد أن تنادى اسما ليس فيه الألف واللام ثم تعطف عليه باسم فيه الألف واللام تقول يازيد والفضل ، ويأحمد والحارث . وقال جل وعز (ياجبال أوى معه والطير) نصب الطير لأن حرف النداء يقع عليه ولم يجز أن تقول : ياالفضل فنصب على خلاف النداء ويجوز أن ترفع على معنى يازيد أقبل وليقبل معك الفضل ، وعلى هذا يقرأ من يقرأ (ياجبال أوى معه والطير) على الرفع ومجازه وليؤوب الطير معك » (٦٥) .

وهنا نجد أن مانسبه سيبويه للخليل ليس بعيدا عما جاء في كتاب الجمل فقد ذكر سيبويه أن الخليل يرى أن رفع الاسم المقترن بأل المعطوف على المنادى العلم المفرد هو القياس بقوله : « وقال الخليل رحمه الله وهو القياس » . وهذا المعنى يؤديه ما جاء في الجمل « فنصب على خلاف النداء » . فالنصب هنا ليس قياسا لكن لما لم يجزيا الفضل عدل عن الرفع إلى النصب .

(٦٣) الجمل : ١٩٤

(٦٤) كتاب سيبويه : ٢ : ١٨٦ ، ١٨٧ والآية رقم ١٠ من سورة ساء

(٦٥) الجمل : ٨٣ ، ٨٤

٢٧ — قال سيبويه : « وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرف واحد كقد وأنه ليست واحدة منهما منفصلة عن الأخرى »^(٦٦) .

وجاء في الجمل : « وأما ألف التعريف : مثل قولك النساء ، والمرأة ، والرجل ، والفرس ، وسمى ألف التعريف لأنك تدخله مع اللام في أول الاسم النكرة فيصير ذلك الاسم معرفة »^(٦٧) .

وجاء في الجمل أيضا : « ولام التعريف مثل اللام التي في الرجل ، والفرس ، والحائط . تدخل مع الألف على الاسم منكورا فيكون معرفة لأن قولهم : فرس وحائط ورجل هي مناكير . وإن قلت : الرجل والمرأة والفرس ، صارت معارف بإدخال الألف واللام »^(٦٨) .

فقد نسب مصنف كتاب الجمل التعريف للحرفين مجتمعين وهذا هو نسبه سيبويه للخليل .

٢٨ — قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قول الأعشى :

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

رفعه وقال : لأعرف فيه غيره لأن أول الكلام خبر وهو واجب كأنه قال : ففى حول تقضى لبانات ويسأم سائم هذا معناه »^(٦٩) .

وجاء في الجمل تحت عنوان الرفع بالصرف : « وأما قول الأعشى وليس من هذا النوع :

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

أراد أن يقول أن يسأم سائم فصرف النصب إلى الرفع فقال ويسأم . وقال بعضهم : نصب ويسأم على إضمار « أن » فصرف إلى النصب لأن معناه وأن يسأم »^(٧٠) .

(٦٦) كتاب سيبويه ٣ : ٣٢٤

(٦٧) الجمل : ٢٤١

(٦٨) الجمل : ٢٦٢

(٦٩) كتاب سيبويه ٣ : ٣٨

(٧٠) الجمل : ١٤٣ ، ١٤٤

وقد يبدو التناقض بين مانسبه سيويه للخليل وماورد في كتاب الجمل وبخاصة قول سيويه عن الخليل : « وقال : لأعرف فيه غيره » .

فرواية سيويه تفيد أن الخليل لايعرف في الفعل (يسأم) إلا الرفع ، وما جاء في كتاب الجمل يفيد أن المصنف يرى الرفع أيضا ووجهه وإلى هنا لاتناقض ، وإنما يبدو التناقض بقوله : « وقال بعضهم نصب ويسأم على إضمار أن » ويمكن أن تدفع هذا التناقض بواحد مما يلي :

١ — أن تكون « وقال بعضهم » من زيادة النساح الملمين بمسائل النحو ونجباياه .

٢ — أن يكون المراد بقول الخليل : « لأعرف فيه غيره » أنه لا يأخذ برواية النصب ولم يسلم بتوجيهها .

٣ — أن يكون الخليل قد وقع على رواية أخرى وتوجيهها بعد إجابته على سيويه .

٤ — أن يكون سيويه سأل الخليل عن البيت برواية (يُقْضَى) وهي لا يكون معها إلا رفع (يسأم) . وقد ورد هذا الشاهد في المقتضب غير مرة^(٧١) ، وذكر المبرد للبيت روايتين الأولى (تُقْضَى) والثانية (تُقْضَى) وقال : « فيرفع (يسأم) لأنه عطفه فعل وهو تُقْضَى فلا يكون إلا رفعا . ومن قال تُقْضَى لبانات ، قال : ويسأم سائم ، لأن (تُقْضَى) اسم فلم يجوز أن تعطف عليه فعلا . فأضمر أن ليجرى المصدر على المصدر فصار تُقْضَى لبانات وأن يسأم سائم أى وسامة سائم وعلى هذا ينشد البيت :
للبيس عباءة وتقرَّ عيني أحب إلى من لبس الشفوف^(٧٢)

بعد هذا التبع لما نسبه سيويه للخليل بن أحمد من آراء في المسائل النحوية التي وجدنا صداها في كتاب الجمل نستطيع أن نقول إن هذا الاتفاق الذي عرضنا نماذجه من كلا الكتابين يجعلنا أمام احتمالين ، إما أن يكون مصنف

(٧١) انظر المقتضب للمبرد ١ . ١٦٥ الطبعة الثانية ، ٢ : ٢٦ ، ٤ : ٢٩٧

(٧٢) المقتضب للمبرد ٢ : ٢٦ ، ٢٧

كتاب الجمل سابقا على سيبويه وهو الخليل بن أحمد نفسه ، وإما أن يكون المصنف لاحقا لسيبويه ، والاحتمال الثاني فيه نظر لأنه يعنى أن مصنف كتاب الجمل كان حريصا على أن يجمع آراء الخليل دون غيره ليخرجها للناس ، ولو كان الأمر كذلك لظهر هذا في مقدمة الكتاب ولأشار المصنف إلى مصادره في ثنايا كتابه، ولكن لما لم يرد شيء من ذلك نجد أنفسنا نميل إلى الاحتمال الأول إلى أن نقف إلى مايعضده أو يدحضه من خلال الفصول القادمة .

وقد يكون من المفيد في هذا الصدد أن نخرج على كتب النحو الأخرى باحثين عما ورد فيها منسوبا للخليل لعلمنا نجد له صدى في كتاب الجمل .
١ — يقول المبرد : « وكان الخليل يقرأ : (إن هذان لساحران) فيؤدى خط المصحف ومعنى إن الثقيلة في قراءة ابن مسعود إن ذان لساحران »^(٧٣) وقال أبو جعفر النحاس وقرأ الزهري واسماعيل بن قسطنطين والخليل بن أحمد وعاصم في إحدى الروايتين : (إن هذان لساحران) بتخفيف إن^(٧٤) .

وجاء في الجمل : قال الخليل بن أحمد وأنا أقرأها مخففة على الأصل (إن هذان لساحران) أى ماهذان إلا ساحران »^(٧٥) .

فما نسبه المبرد وأبو جعفر النحاس للخليل في قراءة هذه الآية ثابت في كتاب الجمل وهو الذى يعنينا هنا وإن اختلف التوجيه ، إذ التوجيه في كتاب الجمل قائم على أن (إن) نافية واللام بمعنى إلا . وهذا طريق الكوفيين^(٧٦) ، أما طريق البصريين فعلى أن (إن) مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين « إن » المخففة المهملة « وإن » النافية فهل أخذ الكوفيون رأيهم عن الخليل ؟ أو لم يفش هذا رأى فلم يسجله البصريون ولم يأخذوا به ؟

٢ — جاء في كتاب الجمل للزجاجي : وإذا لحق الاسم العلم المنادى التنوين في ضرورة الشعر فمنهم من ينونه ويرفعه على لفظه . وهو مذهب الخليل وأصحابه

(٧٣) المقتضب للمبرد ٢ : ٣٦٤ والآية رقم ٦٣ من سورة طه

(٧٤) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣ : ٤٣

(٧٥) الجمل : ١٣٤

(٧٦) انظر البحر المحيط ٦ . ٢٥٥

ومنهم من ينونه وينصبه ... وكذلك أنشدوا بيت الأحوص :
سلام الله يامطرُـرُ عليها وليس عليك يامطر السلام

هذه رواية الخليل وأصحابه بالرفع والتثنية^(٧٧) .
وجاء في كتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد : « وأما قول الآخر :
سلام الله يامطرُـرُ عليها وليس عليك يامطر السلام

فإنه نون « مضطرا » اضطارا ... ويروى بالنصب مونا^(٧٨) .
فما نسب الزجاجي للخليل وارد في كتاب الجمل المنسوب إليه .

ثالثا : الآراء الواردة في كتاب الجمل ولم تنسب للخليل في كتب النحو :
أما ماجاء في كتاب الجمل من آراء لم تنسب إلى الخليل في كتب النحو
فهى :

١ - علامات الإعراب :

أ - علامات الرفع : يقول المصنف : « وعلامة الرفع ستة أشياء : الضمة ،
والواو ، والفتحة ، والألف ، والنون ، والسكون ، فالضم : عبْدُ الله ، وزَيْدٌ .
والواو : أخوك ، وأبوك . والفتحة : عبْدُ الله فى الإثنين . والألف فى قولهم .
الزيدان ، والقمران ، والنون فى يقومان ، ويقومون ، والسكون فى يرمى ويقضى
ويغزو ، ويخشى »^(٧٩) .

والغريب فى هذه العلامات علامتان الأولى : الفتحة ، وقد جعلها المصنف
علامة لرفع الاسم المثنى المضاف ومثل لذلك بقوله : عبْدُ الله . ولست أدرى لِمَ
فرق بين المثنى المضاف والمثنى غير المضاف ؟ والعلامة الثانية : السكون علامة
لرفع الفعل المضارع المعتل الآخر وقد مثل لذلك بقوله : يرمى ، ويقضى ،
ويغزو ، ويخشى .

ب - علامات الحزم : يقول المصنف : وعلامات الحزم خمس : السكون ،

(٧٧) الجمل للزجاجى : ١٥٤ ، ١٥٥

(٧٨) الجمل : ٥٣

(٧٩) الجمل : ١١٧

والضمة ، والكسرة ، والفتحة ، وإسقاط النون . فالسكون : لم يخرج ، والضمة لم يدْع ولم يغزُ ، والكسرة : لم يقض ولم يرم ، والفتحة : لم يتهاذ ، ولم يتصاب ، وسقوط النون : لم يخرجوا في الاثنين ولم يخرجوا في الجمع ^(٨٠) .

وقد استعمل المصنف كلمة « الوقف » وهو يريد « السكون » في موضع آخر ^(٨١) ، والغريب في هذه العلامات ثلاث : هي الضمة والكسرة والفتحة إذ جعلها علامات لجزم الفعل المضارع المعتل الآخر ، وساق أمثلة لها .

أما علامات الجر فلا غريب فيها ، وأما علامات النصب فلم يذكر شيئا منها ونلاحظ أن المصنف لم يتحدث عن علامات مقدرة وأخرى ظاهرة ، كما لم يتحدث عن علامات إعراب المقصور والمنقوص ولا المضاف لياء المتكلم فكل العلامات عنده ظاهرة فالفعل المضارع المعتل الآخر علامة رفعه السكون وعلامة جزمه الضمة أو الكسرة ، أو الفتحة السابقة على حرف العلة المحذوف ويقول : وربما تركت الواو والياء في موضع الجزم استخفافا ^(٨٢) .

قد يشير ذكر هذه العلامات غير المألوفة عند النحويين منذ سيبويه إلى أنها تمثل مرحلة ما قبل استقرار مفهوم علامات الإعراب وتعيينها ، ذلك المفهوم الذي مدّ رواقه مع كتاب سيبويه . ولا يلزم من ذلك بالضرورة تقدم المصنف على سيبويه ولكنها تشعر بأن الاحتمال قائم إذ لو كان المصنف بعد سيبويه لمثل لونا من الخروج على ماشاع واستقر ، ولانتقد ذلك الصنيع وذاع أمره .

وقد تقبل هذه الغرابة في علامات الإعراب من الخليل بن أحمد وهو الذي حكى عنه مصطلحات لم تنسب لغيره على ما ذكره الخوارزمي ^(٨٣) ، كإطلاقه الرفع على مايقع في أعجاز الكلام منونا ، وإطلاقه الضم على مايقع في إعجاز الكلم غير منون ، وإطلاق التوجيه على مايقع في صدور الكلم كما في عين

(٨٠) الجمل : ١٩٠

(٨١) الجمل : ٢٠٢

(٨٢) الجمل : ٢٠٣

(٨٣) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٦٥ : ٦٦ تحقيق ابراهيم الايباري .

« عمر » . ومن مصطلحات الحركات التي نسبها الخوارزمي للخليل أيضا الحشو ، والقعر ، والتفخيم ، والإرسال ، والتيسير ، وكذلك تفريقه بين الخفض والكسر والإضجاع والجر ، وكتفريقه بين الجزم والتسكين والتوقيف إلى آخر ما ذكر الخوارزمي .

حقا لم نجد أثراً لهذه المصطلحات في كتاب الجمل ولكن نشعر بأن الغرابة فيما ينسب للخليل قائمة ومتقبلة .

٢ — جواز رفع ونصب خبر « ما » إذا تقوم على اسمها :

جاء في الجمل : « وإذا قدموا خبر « ما » كان في تقديم الخبر رفع ونصب .
الرفع : ما قائم زيد ، والنصب ما قائما زيد . فالرفع على الابتداء وخبره والنصب على تحسين الباء قال الشاعر :

فما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقا تدم وتمدح
وينصب « (٨٤)

وقال سيبويه : فإذا قلت ما منطلق عبد الله أو مامسىء من أعتب ، رفعت ولا يجوز أن يكون مقدما ومؤخرا ... ثم قال : وزعموا أن بعضهم قال وهو الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قریش وإذ مامثلهم بشر
ولا يكاد يعرف « (٨٥)

فمصنف كتاب الجمل يميز الرفع والنصب ، أما سيبويه فلا يميز النصب ويقرر أن النصب لا يكاد يعرف . وقد نقول لو كان جواز الرفع والنصب جائزا عند الخليل لذكر ذلك سيبويه ونسبه إليه . ولكن هل هناك ما يمنع أن يكون ذلك رأيا للخليل ولم يقف سيبويه عليه أو وقف عليه ولم يشر إليه تصرّحا واكتفى بقوله : « وزعموا أن بعضهم قال « لا يكاد يعرف » فهذا التعليق من سيبويه يشعر بأنه وقف على رأى يميز النصب .

(٨٤) الجمل : ٣٦

(٨٥) كتاب سيبويه ١ : ٥٩ ، ٦٠

وقد قال السيوطي : « وجوز الفراء نصبه مطلقا نحو ماقائما زيد ، وجوزهُ الأَخفش مع إلا نحو ماقائما إلا زيد ، وحكى الجرمي أن ذاك لغية سُمع : مامسيثا من أعتب ^(٨٦) . وفي نسبة جواز النصب للفراء نظر ، إذ بالرجوع إلى معاني القرآن للفراء ثبت غير ذلك ، يقول الفراء : « وإذا قدمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل فقلت : ماسامع هذا ، وماقائم أخوك ^(٨٧) .

٣ — أصل « الذي » « ذو »

جاء في الجمل : وأصل « الذي » « ذو » كما قال الشاعر :
إذا ماجنسى لم يستشرني بذوجننى وليس يُعَرِّني الذى هو قارف
يعنى بالذى جنى ومثله قول الآخر :
فإن بيت تميم ذو سمعت به فيه تنمّت وعزت بينها مضرُ
ذو سمعت أى : الذى سمعت . وقال آخر :
إذا مأتى يوم يفرق بيننا بموت فكن ياوهم ذو يتأخرُ
أى الذى يتأخر .

ثم أدخلوا على (ذو) الألف واللام للتعريف ، ويلزم الباء ، كما ألزمت الكسرة في هؤلاء في كل وجه ^(٨٨) .

فالمصنف هنا يرى أن أصل الذى هو ذو ، ثم تحولت إلى الذى ومذهب البصريين أن أصل الذى هو (لذى) على وزن عمى وشجى . ومذهب الفراء إلى أن أصل « الذى » هو « ذا » ومذهب غيره من الكوفيين إلى أن أصل الذى الذال وحدها ^(٩٠) . ثم يأتي السهيلي (ت ٥٨١) فيذهب إلى ما يتضمن الرأى الوارد في كتاب الجمل المنسوب للخليل فيرى أن الأصل هو (ذو) التى بمعنى صاحب

(٨٦) مع الهوامع ١ : ١٢٤

(٨٧) معاني القرآن، للفراء ٢ : ٤٣

(٨٨) الجمل : ١٦١

(٨٩) انظر الأزهية في علم الحروف للهروى : ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٩٠) انظر الإيضاف في مسائل الخلاف ٢ : ٣٥٧ الطبعة الثالثة وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٣ :

١٣٩ وانظر مع الهوامع ١ : ٨٢

ثم استعملت وصلة إلى وصف النكرات بالأجناس ، ولما أرادوا وصف المعارف بالجميل لم يتمكنوا لأن الجمل نكرات فجاءوا بالوصلة التي توصلوا بها إلى وصف النكرة بالأجناس وهي (ذو) ثم استعملت (ذو) وصلة لوصف المعارف بالجميل في مثل هذا زيد ذو قام أبوه وذو وجهه حسن وهي لغة طييء ، ثم دخلت عليها الألف واللام للتعريف لأنها نعت للمعرفة ، ثم قلبت الواو من (ذو) ياء حتى لا تنتهي الكلمة بواو مضموم ما قبلها وقلبت ضمة الذال كسرة لمجاسة الياء^(٩١) . والغريب أن كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد قد خلا كل منهما من بيان أصل « الذي » .

٤ - تصغير « بيت » « بيت »

جاء في الجمل : « فإذا صغرت قلت : صَوَيْت ، وقويت ، وبُوَيْت »^(٩٢) . والمعروف أن مذهب البصريين في تصغير بيت بيت . وقد نص على ذلك سيبويه في قوله : « هذا باب تحقير كل اسم كان ثانيه ياء ثبتت في التحقير ، وذلك نحو بيت ، وشيخ ، وسيد . فأحسنه أن تقول : شَيْخٌ وَسَيْدٌ فتضم ، لأن التحقير يضم أوائل الأسماء وهو لازم له كما أن الياء لازمة له ومن العرب من يقول شَيْخٌ ، وَيَيْتٌ وَسَيْدٌ »^(٩٣) وقال المبرد : « وفي بيت بُيْتُتٌ وَيَيْتٌ »^(٩٤) ، فالياء ثابتة ، أما قلبها واوا في « بويت » فهو جائز عند الكوفيين شاذ عند البصريين^(٩٥) .

٥ - أصل « هو » الهاء وحدها .

جاء في الجمل : « وهو قالوا : هو قائم . فالهاء وحدها اسم والواو علامة الرفع وقالوا هما ، فحذفوا الواو الزائدة وأتوا بالميم لما كانت من الزوائد وكرهوا أن يعربوه من وحهين »^(٩٦) .

(٩١) انظر نتائج الفكر، للسهلي : ١٧٧ ، ١٧٨ تحقيق د محمد إبراهيم البنا .

(٩٢) الجمل ٢٧٩ .

(٩٣) كتاب سيبويه : ٣ : ٤٨١

(٩٤) المقتضب ٢ : ٢٧١

(٩٥) انظر معجم المصاحف ٢ : ١٨٦

(٩٦) الجمل ٢٦٦ .

والوارد في كتب النحو أن القائلين بأن الضمير هو الهاء وحدها وأن الواو زائدة هم الكوفيون وعلى رأسهم الفراء . قال الزجاجي : « وقال الفراء : إذا قلت « هو » فالهاء هي الاسم والواو صلة »^(٩٧) . وقال ابن الأنباري : « ذهب الكوفيون إلى أن الاسم من « هو » و « هي » الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أن الهاء والواو من « هو » ، والهاء والياء من « هي » هما الاسم بمجموعهما »^(٩٨) . وقال السيوطي : « وقال الكوفيون والزجاج وابن كيسان الضمير من هو وهي الهاء فقط والواو والياء زائدتان »^(٩٩) . ولكن نسب أبو جعفر النحاس للخليل ما يفيد زيادة الواو في (هو) فقال في قراءة من قرأ : (فهو هدى) : « الاسم الهاء وزيدت الواو عند الخليل لأن الهاء خفية فقويت بحرف جلد متباعد منها »^(١٠٠) .

٦ — رافع الفعل المضارع هو حرف المضارعة :

جاء في الجمل : « وتقول من يزرنى فأكرمهُ ، وإن تزرنى فأزورك . رفعت أكرمه وأزورك لأن الفاء التقفت الجواب فارتفع الجواب وارتفع أكرمه بالألف الحادثة في أوله »^(١٠١) .

والمراد بالألف الحادثة في أوله همزة المضارعة . وهذا الرأي منسوب للكسائي قال ابن يعيش : « وذهب الكسائي منهم أيضا إلى أن العامل فيه الرفع مافى أوله من الزوائد الأربع »^(١٠٢) .

٧ — زيادة الواو :

جاء في الجمل : « وواو الإقحام مثل قول الله عز وجل : (إن الذين ويصدون

(٩٧) مجالس العلماء للزجاجي : ١٠٥ . والمراد بالصلة : الرائد

(٩٨) الانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٣٥٨ المسألة رقم ٩٦

(٩٩) معجم المصنفين ١ : ٦٠ ، ٦١

(١٠٠) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١ : ١٧٩ ، ١٨٠

(١٠١) الجمل : ٢٠٠

(١٠٢) شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ١٢

عن سبيل الله (١٠٣) معناه : يصدون . والواو فيه واو إقحام (١٠٤) ثم ذكر بعض آيات أخرى وشاهدا من الشعر وقال : « فأدخل الواو حشوا وإقحاما . ومثله قول الله عز وجل : (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) (١٠٥) معناه : ناديناه والواو حشو على ما ذكر سيبويه النحوى (١٠٦) .

وعبر المصنف هنا عن الواو الزائدة بأنها واو الإقحام كما سماها حشواً ، ولنا ملاحظات على هذا النص :

أولاً : القول بزيادة الواو في هذه المواضع وأشباهها هو قول الكوفيين ، وذهب إلى ذلك من البصريين أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم ابن برهان (١٠٧) ، ولم أقف على من نسب إلى الخليل القول بزيادة الواو وإقحامها .

ثانياً : التعبير بواو الإقحام غير وارد في كتاب سيبويه وحديثه مع الخليل بنفى أن أيا منهما كان يقول بزيادة الواو أو إقحامها . قال سيبويه : « سألت الخليل عن قوله جل ذكره : (حتى إذا حاءوها وفتحت أبوابها) أين جوابها ؟ وعن قوله جل وعلا فقال : إن العرب قد ترك في مثل هذا الخبر في كلامهم لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام (١٠٨) ولو كانت الواو زائدة لعد مابعدا هو الجواب .

ثالثاً : قول المصنف : « معناه ناديناه والواو حشو على ما ذكر سيبويه النحوى » يشعر بأن سيبويه كان يقول بزيادتها في قوله تعالى : وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » وقد أحال محقق الكتاب إلى موضع الآية في كتاب سيبويه وكأن هذه الإحالة توثيق لما جاء في كتاب الجمل . والحق أن سيبويه لم يعرض في هذا الموضع لزيادة الواو وإنما عرض لأن المفسرة في باب « ماتكون فيه أن بمنزلة

(١٠٣) سورة الحج آ : ٢٥

(١٠٤) الحمل : ٢٨٨

(١٠٥) سورة الصافات الآيات : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

(١٠٦) الحمل : ٢٨٨

(١٠٧) انظر الإيضاف ٢ : ٢٤٣

(١٠٨) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٣ هارون

أنى « وبين أن « أن » فى الآية الكريمة مخففة من الثقيلة ، وأنّ الخليلأجاز كونها مفسرة بمعنى « أى » فقال : « ومثل ذلك (وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) كأنه قال : ناديناه أنك قد صدقت الرؤيا ياإبراهيم . وقال الخليل تكون أيضا على أى « (١٠٩) .

رابعا : إذا رجعنا إلى معانى القرآن للفراء نجده لايقول بزيادة الواو ولا بإقحامها فى الآية الأولى وهى قوله تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) بل عدها عاطفة فقال وقوله : إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله (ردّ يفعلون على فعلوا « (١١٠) وقد جعل الفراء الواو فى قوله تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين) فى جواب لما (١١١) .

ومن الملاحظ أن مذكرو صاحب الإنصاف من أن المبرد ذهب إلى زيادة الواو مخالفا البصريين متناقض مع ما جاء فى المقتضب للمبرد فقد نص المبرد على عدم زيادتها فقال : « وقال قوم آخرون : الواو فى مثل هذا تكون زائدة فقوله : (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) يجوز أن يكون (إذا الأرض مدت) والواو زائدة ... ومن قول هؤلاء : إن هذه الآية على ذلك (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) قالوا المعنى ناديناه أن ياإبراهيم ... ثم يقول : « وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين . والله أعلم بالتأويل « (١١٢) .

ومعنى هذا أن النحويين نسبوا للمبرد رأيا مناقضا لما صرح هو به فى كتاب المقتضب ولم يقدح ذلك فيما جاء به . فتناقض ماتنسيبه كتب النحو لأشخاص بأعينهم مع مايرد فى كتب هؤلاء الأشخاص أمر محتمل . وهذا يسمح لنا بأن نسأل : هل يعد ما جاء فى كتاب الجمل كان يمثل رأى الخليل وإن لم يثبت فى كتاب سيويه ، وكان هذا رأى موضع بحث لمن أتوه بعده كسيويه والأخفش والفراء والمبرد وابن برّهان ، ثم نجد الأمر فى خلاف بين البصريين والكوفيين ، ولما

(١٠٩) كتاب سيويه ١ : ٤٨٠ بولاق

(١١٠) معانى القرآن للفراء ٢ : ٢٢٠

(١١١) انظر المرجع السابق ٢ : ٢٢١

(١١٢) المقتضب ٢ : ٨٠

كان الخليل شيخ البصريين ذاب رأيه في آرائهم ؟

على أية حال فهل نستطيع بعد بيان هذه الصلة بين مافى كتاب الجمل من آراء وما جاء فى كتاب العين ، ومانسبه سيويه للخليل بن أحمد من آراء حول آيات وأبيات سأل عنها سيويه الخليل ، وبعدما تبينا الاتفاق فى أسلوب التعليق على تلك الآيات والأبيات أن نقول : إن مافى كتاب الجمل يمثل حقا فكر الخليل وأسلوبه وقد وعاهما عنه تلميذه سيويه ، فنميل إلى التسليم بضجة نسبة كتاب الجمل إلى الخليل ؟ أعتقد أن الجواب بالإيجاب . ويعزز هذا القول والميل اتفاق مانسبه كل من المبرد وأبى جعفر النحاس للخليل من قراءة : (إن هذان لساحران) بتخفيف الهمزة . وهذه القراءة منصوص عليها فى كتاب الجمل بقوله : « وأنا أقرؤها مخففة » .

أما الآراء الواردة فى كتاب الجمل ولم نرها فى كتاب النحو منسوبة للخليل فهى لاتقدح — فى نظرنا — فى صحة نسبة الكتاب للخليل إذ هى كفة مرجوحة أمام ما بيناه من الاتفاق فى الآراء الأخرى فمعظم آراء الخليل وصلت إلينا عبر كتاب سيويه ومما لاشك فيه أن للخليل آراء أخرى لم يسجلها سيويه فى كتابه إما لعدم علمه بها ، وإما لأنه لم يكن فى حاجة إلى عرضها ، وإما لأنه لم يطمئن إليها ولم يأخذ بها .

الفصل الثالث

العنوانات والمصطلحات

العنوانات

يختار المصنف العنوانات الداخلية لكتابه في إطار الغاية التي يريد إبرازها وتحقيقها في مصنفه ، ولما كانت غاية مصنف كتاب الجمل بيان وجوه الإعراب جاءت عنواناته في هذا الإطار ، فبيان وجوه الإعراب يختلف اختلافا دقيقا عن ذكر المنصوبات والمرفوعات والمجرورات والمجزومات ، ويختلف أيضا عن ذكر عوامل النصب وعوامل الرفع وعوامل الجر وعوامل الجزم . ولذلك اختلف هذا الكتاب في عرضه لمسائل النحو عن المصنفات الأخرى القائمة على المعمولات ، والقائمة على العوامل ، فجعل وجوه النصب واحدا وخمسين وجها ، وجعل وجوه الرفع اثنين وعشرين وجها ، وجعل وجوه الخفض تسعة أوجه ووجوه الجزم اثني عشر وجها . ولم يتقيد بالوظائف النحوية المقتضية عرض المسائل في أبواب ، فجاءت عنواناته أحيانا مرتبطة بالعامل « كالنصب بإن وأخواتها » ، و « النصب بنجر كان وأخواتها » ، « والنصب بحتى » ، وجاءت أحيانا مرتبطة بالأبواب النحوية « كالرفع بالفاعل » ، و « ما لم يذكر فاعله » ، « والمبتدأ وخبره » ، و « اسم كان » و « خبر إن » ، « والنداء المفرد » وجاءت أحيانا مرتبطة بالدلالة « كالنصب بالإغراء » و « النصب بالتحذير » ، و « النصب بالذم » و « النصب بالترحم » و « النصب بالاختصاص » ، و « النصب بالصرف » ، و « النصب بالقطع » و « النصب بالتحثيث » .

ولا يصدر المصنف عنواناته بكلمة باب كما فعل سيبويه ، ولم يصدرها بكلمة فصل إلا في الموضعين الأخيرين من الكتاب وسبق الإشارة إلى ذلك في حديثنا عن وحدة الكتاب في الفصل الأول .

وقد اعتاد المصنف أن يصل العنوان بالشرح بقوله^(١) : « كقولك » أو « قولهم » أو « تقول » أو « مثل قول الله تبارك وتعالى » ، « ومثل قولهم » . وهذه .

(١) انظر الجمل ٣٧ ، ٧١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ على سبيل المثال .

السمة فاشية في كتاب سيويه إذ يبدأ بعد العنوان بعبارات مشابهة لما نجده في كتاب الجمل المنسوب للخليل فيقول^(٢) : « وذلك قولك » أو « تقول » أو « وذلك قول العرب » ، أو « وذلك قول بعض العرب » أو « ومن ذلك قولهم » أو « ومن ذلك قوله تعالى » .

وقد خلا كتاب الجمل من ربط العناوانات بالشرح بكلمة « اعلم » إلا في موضع بآخر الكتاب أشرنا إليه في الفصل الأول ، مع فشور كلمة اعلم في كتاب سيويه^(٣) وشيوعها في المقتضب^(٤) وفي الجمل للزجاجي^(٥) .

كما اقتضى تصنيف كتاب الجمل القائم على بيان وجوه الإعراب وتفسيرها أن تكون العناوانات جزئية لأنه يعرض هذه الوجوه وجهاً وجهاً ولا يتناول أبواباً نحوية ، فقد كان يمكن الجمع بين كثير من المسائل المتفرقة ذات العناوانات الجزئية وعلى سبيل المثال يمكن أن نقول إن العناوانات الآتية : « النصب بالنداء المضاف »^(٦) ، و « النصب الذي يقع في النداء المعرفة »^(٧) و « النصب من نداء النكرة الموصوفة »^(٨) ، و « الرفع بالنداء المفرد »^(٩) ، كلها تندرج تحت عنوان باب واحد هو باب النداء . وكذلك « النصب على الحال »^(١٠) ، و « النصب

(٢) انظر كتاب سيويه ١ : ٦٦ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ٤١٢ ، ٢١٨ ، ٧٠ ، ٣٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٥ ، على سبيل المثال .

(٣) انظر كتاب سيويه ٢ : ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢٨٨ ، ٣٦٨ ، ١٥٦ ، ٣٩٨ ، ٢٧٦ ، ٣٥٠ ، على سبيل المثال .

(٤) انظر المقتضب للمبرد ٢ : ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٣١٨ ، ٣ : ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٧٦ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣٢٤ ، على سبيل المثال .

(٥) انظر الجمل للزجاجي ٦٦ : ٦٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣ ، ٣٣٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٠ ، على سبيل المثال .

(٦) الجمل : ٧٧ .

(٧) السابق : ٨٣ .

(٨) السابق : ٥٢ .

(٩) السابق : ١٣٧ .

(١٠) السابق : ٤٠ .

من القطع»^(١١) ، و «النصب على الاستغناء وتمام الكلام»^(١٢) ، و «النصب بوحده»^(١٣) و «النصب من نعت النكرة تقدم على الاسم»^(١٤) . كلها تندرج تحت عنوان باب واحد هو باب الحال . ولكن هذه العناوانات الجزئية تلامم التبع للوجوه وتناسب التصنيف النحوى المبكر — فى تصورنا — لما فيه من تتبع للجزئيات التى تحولت بعد ذلك وصبت فى أبواب تندرج تحتها هذه المسائل الجزئية .

وهذا التناول الجزئى والعناوانات الجزئية ظاهرة بادية فى كتاب سيبويه وإن اتسم كتاب سيبويه بطول العناوانات لكنه يتناول جزئيات أيضا . والصلة بين عناوانات كتاب سيبويه وكتاب الجمل المنسوب للخليل قوية ولنتأمل العناوانات الآتية من الكتاين :

١ — فى الجمل : «النصب من المصدر»^(١٥) يريد ما يعرف بالمفعول المطلق . عند سيبويه : «هذا باب ما يكون فيه المصدر توكيدا لنفسه»^(١٦) يريد المفعول المطلق .

٢ — فى الجمل : «النصب بالاستفهام» قولهم أقعدوا والناس قيام^(١٧) . وأدرج المصنف تحت العنوان المصدر وغيره : أقعدوا ، أطرباً ، ألوما ، أقرشياً . عند سيبويه : «أماما ينصب فى الاستفهام من هذا العدد فقولك أقياما يافلان والناس قعدوا»^(١٨) وجعل ذلك فى إطار باب تناول فيه نصب المصدر فى الخبر والاستفهام : أقياما ، أطرباً ، ألوما . ثم عقد باباً عنوانه هذا باب ما ينتصب من الأسماء التى أخذت من الأفعال ، انتصاب الفعل استفهمت أو لم تستفهم ، ثم عقد باباً آخر بعنوان :

(١١) السابق : ٣٨

(١٢) السابق : ٧٩

(١٣) السابق : ١١٤

(١٤) السابق : ٧٥

(١٥) الجمل : ٣٧

(١٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٨٠

(١٧) الجمل : ٨٧

(١٨) كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨

« هذا باب ماجرى من الأسماء التى لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أخذت من الفعل » .

٣ — فى الجمل : « النصب بالمدح »^(١٩)

عند سيبويه : ماينتصب على التعظيم والمدح^(٢٠) .

٤ — فى الجمل : « النصب بالذم »^(٢١) .

عند سيبويه : « مايجرى من الشتم مجرى التعظيم »^(٢٢)

٥ — فى الجمل : « النصب بالترحم »^(٢٣)

عند سيبويه : « ومن هذا الترحم »^(٢٤)

٦ — فى الجمل : « النصب بالاختصاص »^(٢٥)

عند سيبويه : هذا باب من الاختصاص^(٢٦)

٧ — فى الجمل : « النصب من المصادر التى جعلوها بدلا من اللفظ الداخلى على الخبر والاستفهام . قولهم أنت سيرا سيرا ومأنت إلا السير السير »^(٢٧)

عند سيبويه : هذا باب ماينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره لأن يصير فى الإخبار والاستفهام بدلا من اللفظ بالفعل ، وذلك قولك مأنت إلا سيرا وإلا سيرا سيرا .. »^(٢٨) .

٨ — فى الجمل : « النصب بالدعاء . قولهم تبا لهم وسحقا وترباله وجندلا »^(٢٩) .

(١٩) الجمل : ٦١

(٢٠) كتاب سيبويه : ٢ : ٦٢

(٢١) الجمل : ٦٣

(٢٢) كتاب سيبويه : ٢ : ٧٠

(٢٣) الجمل : ٦٤

(٢٤) كتاب سيبويه : ٢ : ٧٤

(٢٥) الجمل : ٦٦

(٢٦) كتاب سيبويه : ٢ : ٢٣٣

(٢٧) الجمل : ١١٥

(٢٨) كتاب سيبويه : ١ : ٣٣٥

(٢٩) الجمل : ٨٦

وجعل المصنف تحت هذا العنوان المصادر مثل سحقا ، والأسماء مثل تريا وجندلا ، والصفات مثل هنيئا .

عند سيبويه : « هذا باب ماجرى من الأسماء مجرى المصادر التي يدعو بها . وذلك قولهم تريا وجندلا »^(٣٠) وقد جعل سيبويه للمصادر بابا أورد فيه سقيا ورعيا . وبابا آخر للصفات المدعو بها أورد فيه هنيئا مريئا .
٩ — في الجمل : « النصب بإضمار كان . قولهم : فعلت ذاك إن خيرا وإن شرا »^(٣١) .

عند سيبويه : « هذا باب ما يضر في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف . وذلك قولك الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر »^(٣٢) .

١٠ — في الجمل : « الرفع بشكل النفي »^(٣٣) .
عند سيبويه : « هذا باب ماجرى على موضع النفي لا على الحرف الذي عمل في النفي »^(٣٤) .

١١ — في الجمل : « الجزم بالمجازاة وخبرها »^(٣٥) .
عند سيبويه : « هذا باب الجزاء »^(٣٦) . وهذا باب الأسماء التي يجازى بها »^(٣٧) .

١٢ — في الجمل : « الهاء التي تقع على المذكر والمؤنث »^(٣٨) .
عند سيبويه : « هذا باب المؤنث الذي يقع على المذكر والمؤنث »^(٣٩) .

(٣٠) كتاب سيبويه ١ : ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣١) الجمل : ١١١ .

(٣٢) كتاب سيبويه ١ : ٢٥٨ .

(٣٣) الجمل : ١٦٥ .

(٣٤) كتاب سيبويه ١ : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣٥) الجمل : ١٩٤ .

(٣٦) كتاب سيبويه ٣ : ٥٦ .

(٣٧) نفسه .

(٣٨) الجمل : ٢٧٠ .

(٣٩) كتاب سيبويه ٣ : ٥٦١ .

ولا أريد الاستطراد في ذكر نماذج لأوجه الشبه في العنوانات وللتقارب في صياغتها وبيان مايندرج تحتها من مسائل حتى لا تكثر النصوص من الكتاين .
ومما لاشك فيه أن هذا التشابه وذلك التقارب الجلي بين ماسقنا من عنوانات الكتاين يشعر بالصلة الوثيقة بين مصنف كتاب الجمل وسيبويه ، وهي على مايلو لي ليست صلة نقل بين كتاين إنما أشعر أنها صلة معلم بتلميذه أفاد التلميذ من معلمه ففصل مأجمل وبسط مااختصر . وأود أن يكون في درسنا للمصطلح في الصفحات القادمة مايكشف اللثام عن أمور تصل بنا إلى مايقربنا من الحقيقة .

المصطلحات

لاتصبح الكلمة أو التركيب مصطلحات في علم إلا إذا تواطأ المعنيون بهذا العلم على استعمال هذه الكلمة أو ذلك التركيب في مجال تخصصهم ولا يعنى ذلك بالضرورة اجتماعهم ليطم هذا الاتفاق أو ذاك التواطؤ ، وإنما الشيوع في الحوار والتصنيف العلمى هو دليل الاتفاق والتواطؤ وقد تضيق دائرة الشيوع وقد تتسع ، وقد يطرأ على المصطلح في دائرته تطور ، وقد يصاب بجمود ، وقد يشيع المصطلح في عصر على أقلام المصنفين ، وقد يذبل ويموت ليحل محله مصطلح آخر لعوامل متعددة ليس المقام مقام عرضها ، وتبقى كتب القدماء ومصنفاتهم مرجعا لهذه المصطلحات في دلالاتها وتاريخها ، وقد تعين دراسة المصطلح على نسبة المصنف إلى عصره ، وقد يستضيء الباحث بالمصطلحات في نسبة المصنف إلى صاحبه . ومن هنا كانت عنايتنا بتناول المصطلح في كتاب الجمل المنسوب للخليل .

وسنعرض للمصطلحات المميزة لهذا الكتاب :

١ - الأخوات :

لقد عبر المصنف في كثير من المواضع عن التشابه من الحروف والأدوات والأفعال بكلمة الأخوات مثل إن وأخواتها ، وكان وأخواتها ، وهل وأخواتها ، وعن وأخواتها ، وحتى وأخواتها ، وما بال وأخواتها ، وساء وأخواتها ، والتعبير بهذا اللفظ من ألفاظ القرابة شائع في كتب النحو ولكنه شبه خاص بنواسخ المبتدأ والخبر . وقد يبدو أن هذا الاستعمال لم يكن عند المتقدمين من النحويين ، والحق أنه استعمال قديم ظهر في كتاب سيبويه في قوله : « هذا باب الإضمار فيما جرى مجرى الفعل وذلك إن ولعل وليت وأخواتها »^(٤٠) وفي قوله : « ومن ذلك قول العرب : لى عشرون مثله ، ومائة مثله فأجروا ذلك بمنزلة عشرين درهما ومائة

(٤٠) كتاب سيبويه ٢ : ٣٦٠

درهما ، فالمثل وأخواته كأنه كالذى حذف منه التنوين^(٤١) ، وفى قوله : « اعلم أن أنت وأخواتها لا يكتنّ علامات لجرور^(٤٢) » ، وفى قوله أيضا : « وذلك أفعال منه ومثلك وأخواتهما^(٤٣) » .

وورد هذا الاستعمال أيضا عند الفراء ، فقال : فإن قلت إن العرب إنما تجعل العماد فى الظن لأنه ناصب ، وفى « كان » « وليس » لأنهما يرفعان وفى إن وأخواتها لأنهن ينصبين^(٤٤) .

ونعنى ببيان قدم التعبير بلفظ أخوات عند النحويين: أن وروده فى كتاب الجمل المنسوب للخليل لا يقدح فى نسبته إليه لما قد يتوهم من حداثة الاستعمال .

٢ — الإغراء :

جاء فى الجمل : والنصب من الإغراء قولهم : عليك زيدا ، ودونك عمرا ، ورويدك محمدا ، ورويدا عمرا . نصبته بالإغراء^(٤٥) ، ثم قال : « ويغرى . ب . كذاك » أيضا^(٤٦) .

أراد المصنف بالإغراء استعمال هذا النوع من أسماء الأفعال ، ولم أقف فى كتاب سيبويه على ما يدل على استعمال هذا الاصطلاح إنما يتناول سيبويه هذه الصيغ تحت عنوان : هذا باب من الفعل سمي الفعل فيه بأسماء مضافة ليست من أمثلة الفعل^(٤٧) . ويقول أيضا : فأما ما يتعدى المأمورية فهو قولك : عليك زيدا ، ودونك زيدا ، وعندك زيدا ، تأمره به . حدثنا بذلك أبو الخطاب^(٤٨) . كما لم أقف على اصطلاح الإغراء فى معانى القرآن للفراء ولا فى المقتضب للمبرد . وإنما وجدته فى كتاب مقدمة فى النحو المنسوب لخلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ)

(٤١) كتاب سيبويه ١ : ٤٢٧

(٤٢) كتاب سيبويه ٢ : ٣٦٢

(٤٣) كتاب سيبويه ٢ : ٢٤

(٤٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٥١

(٤٥) الجمل : ٥٤

(٤٦) نفسه

(٤٧) كتاب سيبويه ١ : ٢٤٨

(٤٨) السابق ١ : ٢٤٩

في قوله : باب التحذير والإغراء . وهو منصوب كله تقول : عليك نفسك ... »^(٤٩) وظهر كذلك هذا الاصطلاح بهذا المفهوم عند الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) في قوله : « اعلم أن من الأسماء أسماء أجريت مجرى الأفعال في عملها فمنها ما يتعدى ، ومنها ما لا يتعدى فمن المتعدى : عليك ودونك ، ومعناها الإغراء . تقول عليك زيداً »^(٥٠) .

وظهور هذا الاصطلاح المرتبط بالدلالة في كتاب الجمل المنسوب للخليل وعدم ظهوره عند سيبويه والفراء والمبرد ولا يجعلنا نميل إلى أن يعد ذلك ثغرة تقدر في نسبة الكتاب للخليل بل نقول : ولم لا يكون هذا الاستعمال المرتبط بدلالة الأسلوب مبكراً قبل أن تستقر المصطلحات مرتبطة بالجانب التركيبي والعامل والمعمول والوظيفة النحوية .

٣ - ألف النفس :

أراد بها المصنف همزة المضارعة لأنها دالة على المتكلم ومثل لها بأضربُ وأخرجُ^(٥١) وقد عبر عنها أبو بكر الأنباري^(٥٢) بألف المخبر عن نفسه وكذلك فعل الهروي^(٥٣) والثعالبي^(٥٤) .

٤ - البنية :

ورد هذا الاصطلاح في كتاب الجمل في أربعة مواضع ويريد به البناء المقابل للإعراب . قال في الموضع الأول : « النصب على البنية . ما كان بناء بنته العرب مما لا يزول إلى غيره مثل الفعل الماضي ومثل حروف إن وليت ولعل وسوف وأين وما أشبهه »^(٥٥) وقال في الموضع الثاني : الرفع بالبنية مثل حيث وقط لا يتغيران عن

(٤٩) مقدمة في النحو : ٨١ ، ٨٢

(٥٠) الواضح في علم العربية : ١١٨

(٥١) الجمل : ٢٣٩

(٥٢) الألفات لأبي بكر الأنباري : ٢٧

(٥٣) الأهمية للهروي : ٢٥

(٥٤) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : ٢٢٦

(٥٥) الجمل : ٨٥

الرفع على كل حال وكذلك قبل وبعد إذا كان على الغاية»^(٥٦) وقال في الموضع الثالث : الخفض بالبنية ... مثل قِطَامٍ ودِرَاكِ ونَزَالٍ وحِذَامٍ وبدَادٍ ورقَاشٍ لاتزول هذه الأسماء عن الخفض إلى غيره من غير تنوين»^(٥٧) وقال في الموضع الرابع : الجزم بالبنية مثل : مَنْ ، وما ، ولم ، وأشباهها لايتغير إلى حركة»^(٥٨) .

ولم أجد هذا الاستعمال في غير هذا الكتاب ، وهو يشعر بأنه استعمال مبكر أيضا إذ لو لم يكن مصنف الكتاب من الرواد الأوائل ما احتاج إلى مثل هذا الاستعمال ولوجد كلمة المبنى والبناء مستقرة متعارفا عليها بين النحويين بعد سيبويه .

٤ — التحثيث :

يستعمل المصنف هذا الاصطلاح المرتبط بالدلالة ولم أره لغيره فيقول : « وأما التحثيث فهو في معنى المصدر إلا أنك تلحق به ألفا ولأما للمعرفة وتحث عليه نحو قولك الخروج الخروج والسير السير»^(٥٩) .

وبهذا فرق المصنف بين النصب بالإغراء ، والنصب بالتحثيث .

٥ — الحال : « النصب من الحال » :

مع أن اصطلاح « الحال » شائع في كتب النحو منذ سيبويه لكن مصنف الجمل يخصصه بما كان صاحب الحال فيه ضميرا وهذا التخصيص يتضح من الأمثلة التي ساقها ومن استعماله اصطلاحاً آخر هو « القطع » لما كان صاحب الحال فيه غير ضمير . وسيأتى تفصيل ذلك في عرضنا لاصطلاح القطع . ومن الأمثلة التي ساقها قوله : « والنصب من الحال قولهم أنت جالسا أحسن منك قائما أى في حال جلوسه أحسن منه في حال قيامه . قال الشاعر :

لعمرك إني وإذا بعد سبعة لأعشى وإني صادرا لبصير

(٥٦) السابق : ١٤٨

(٥٧) السابق : ١٧٨

(٥٨) السابق : ٢٠٥

(٥٩) الجمل : ١١٥

أى فى حال ورودى لأعشى وحال صدرى بصير^(٦٠) ومن الأمثلة التى ساقها : « قدمت راكبا ، وانطلقت ماشيا ، وتكلمت قائما »^(٦١) .

وهذا التخصيص يرجع إلى العناية بالجزئيات عند تتبعها وتفسيرها واختيار مايدل عليها من مصطلحات وهى سمة قديمة تناسب المرحلة المبكرة فى التأمل النحوى .

٦ — خبر المعرفة وخبر النكرة :

يرد هذان الاصطلاحان فى كتاب الجمل ويريد المصنف بخبر المعرفة الحال ، ويخبر النكرة النعت فيقول : وأما « هذا » وأشباهه فهم ينصبون بها خبر المعرفة ، ويرفعون خبر النكرة^(٦٢) ، ويقول أيضا : وأما قوله تبارك وتعالى فى « ق » : (هذا مالدئ عتيد) رفع عتيدا لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شئ عتيد عندى^(٦٣) .

وقد جاء الاصطلاحان فى مقدمة خلف الأحمر فى قوله : تقول : هذا عبد الله مقبل ، وذا إشارة ، وعبد الله مرفوع ، ومقبلا منصوب لأنه خبر المعرفة وخبر المعرفة منصوب أبدا ... وأما خبر النكرة فإنه تبع لها كقولك : هذا رجل مقبل ، وهذا رجل راكب^(٦٤) .

وقد ورد فى كتاب سيبويه « خبر المعرفة » مرادا به الحال فقال : « واعلم أن ماجرى نعتا على النكرة فإنه منصوب فى المعرفة لأن ما يكون نعتا من اسم النكرة يصير خبرا للمعرفة »^(٦٥) وقال أيضا : واعلم أن كل شئ كان للنكرة صفة فهو للمعرفة خبر^(٦٦) . وكثيرا مااستعمل سيبويه الخبر مريدا به الحال^(٦٧) .

(٦٠) الجمل : ٤٠ ، ٤١ .

(٦١) السابق : ٤١ .

(٦٢) السابق : ١٧٠ .

(٦٣) السابق : ٤٠ والآية رقم ٣٣ من سورة ق .

(٦٤) مقدمة خلف الأحمر : ٦٦ .

(٦٥) كتاب سيبويه ٢ : ٣٣ .

(٦٦) السابق : ٢ : ٨ .

(٦٧) السابق انظر ٢ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢ .

فخبر المعرفة وخبر النكرة يعدان من المصطلحات القديمة في فترة ما قبل استقرار المصطلح النحوي فلا عجب إذا ظهرت في كتاب ينسب للخليل بل العجب لو نسب لغوي من علماء القرن الرابع كابن شقير .

٧ - الخفض بالجوار :

جعل المصنف هذا عنوانا لوجه من وجوه الخفض^(٦٨) ، ويريد بذلك اتباع الاسم للاسم المجرور السابق عليه مباشرة وهو ليس نعتا له . وقد عبر سيويه عن هذا المفهوم بقوله : « وقد حملهم قرب الجوار على أن يجروا : هذا حجر ضيب شريب ونحوه »^(٦٩) . ولم يرد هذا المصطلح في معاني القرآن للفراء ولكن وردت إيماءة بهذا المفهوم أيضا مع سوق شواهد واردة في كتاب الجمل من الشعر والقرآن الكريم^(٧٠) .

وقد توسع مصنف كتاب الجمل في تطبيق هذا المفهوم فمثل له بما يعرف بالنعت السببي المجرور مثل : مررت برجل عجوز أمه ، وبامرأة شيخ أبوها على أن يعرب عجوز خبرا مقدما مجرورا بالمجاورة وما بعده مبتدأ . وهذا واضح من قوله تعليقا على المثالين السابقين : « فخفضت سيخا وهو من نعت الأب إلا أنه لما جاور امرأة خفضت . ورفع أباهما على الابتداء » ثم يقول فإذا كان الجوار اسما في هذا النوع لم يجز الجوار ولم تنخفض تقول مررت برجل : زيد أبوه ، ومررت برجل حديث بابه رفعت زيدا وحديدا على الابتداء والخبر ولم تنخفض لأنه اسم وليس بنعت^(٧١) .

وتطبيق مفهوم الخفض بالجوار على هذا التركيب غريب لم أره فيما اطلعت عليه لغير المصنف .

٨ - الصرف :

أراد المصنف بهذا الاصطلاح صرف الكلام عن جهته وأورده في موضعين

(٦٨) الجمل : ١٧٣

(٦٩) كتاب سيويه ١ : ٦٧

(٧٠) معاني القرآن للفراء ، ٢ : ٧٤ ، ٧٥

(٧١) الجمل : ١٧٤

« النصب بالصرف » والرفع بالصرف » وسنعرض لمفهومه في كل موضع على حدة .

أ — النصب بالصرف : قال المصنف : « والنصب بالصرف في قولهم : لأركب وتمشي ، ولأشبع وتجوّع ، فلما أسقط الكتابة وهي (أنت) نصب لأن معناه : لأركب وأنت تمشي ، ولأشبع وأنت تجوّع فلما أسقط الكناية وهي أنت نصب لأنه مصروف عن جهته »^(٧٢) ومعنى ذلك أن التركيب الظاهر له تركيب آخر مقدر حذف جزء منه فلما عدل عن جزء من التركيب المقدر نصب الفعل المضارع وربما كان ذلك سببا في تسمية الواو هنا واو المعية ينصب المضارع بعدها بتقدير « أن » عند البصريين ، وتسمى واو الصرف عند الكوفيين ، لأنها صرفت الكلام من مفهوم عطف الفعل على الفعل السابق عليه إلى مفهوم آخر وهو مفهوم المعية .

ولكن المصنف لا يخص النصب بالضرف الفعل المضارع المسبوق بواو بعد طلب أو نفي كما في هذا التركيب بل جعله أعم من ذلك فيقول : « ومن الصرف أيضا قول الله عز وجل : (بلي قادرين) معناه : بلي نقدر فصرف من الرفع إلى النصب ، وقال بعضهم على معنى بلي كنا قادرين . وقال الشاعر :

ألم ترني عاهدت ربي وإنسى لين رتاج قائما ومقام

على قسم لأشتم الدهر مسلما ولاخارجا من في زور الكلام

فنصب خارجا على الصرف . معناه ولا يخرج فلما صرفه نصبه »^(٧٣) .

وهذا مفهوم لمصطلح الصرف غير مألوف في كتب النحو مع ملاحظة أن الآية الكريمة وهذين البيتين من شواهد سيبويه ولكنه لم يجعل المنصوب فيها منصوبا بالصرف ، كما لم يذكر الخليل في موضع استشهاده بالآية والبيتين بل قال : وأما قوله (جل وعز : (بلي قادرين) فهو على الفعل الذي أظهر كأنه قال : بلي نجتمعها قادرين ، حدثنا بذلك يونس وأما قوله وهو الفرزدق :

(٧٢) الجمل : ٦٨

(٧٣) السابق : ٦٩ . والآية رقم ٤ من سورة القيامة

على حلفة لم أشتم الدهر مسلماً ولاخارجساً من فتي زور كلام
فإنما أراد : ولا يخرج فيما أستقبل كأنه قال : ولا يخرج خروجاً . ألا تراه ذكر
« عاهدت » في البيت الذي قبله فقال :

ألم ترني عاهدت ربي وإني لبين رتاج قائماً ومقام
ولو حملة على أنه نفى شيئاً هو فيه ولم يرد أن يحمله على عاهدت جاز وإلى هذا
الوجه كان يذهب عيسى فيما نرى لأنه لم يكن يحمله على عاهدت « (٧٤) » .

وعلى هذا فقد تعددت وجهات نظر الرعيل الأول في تفسير نصب « قادرين »
و « خارجاً » فكان ليونس رأى ولعيسى بن عمر رأى ومما لاشك فيه كان للخليل
ابن أحمد رأى أيضاً وإن لم يذكره سيويه ثم كان لسيويه ما أثبتته في كتابه .

وأرى أن هذا المفهوم للصرف كان قديماً وعاماً بدليل مايلي :—

أ — ما جاء في كتاب العين للخليل : وتقول العرب بعداً وسحقاً مصروفاً عن
وجهه ووجهه : أبعده الله وأسحقه . والمصروف ينصب ليعلم أنه منقول من حال
إلى حال « (٧٥) » .

ب — أن الفراء انتقد الشق الأخير من مفهوم الصرف معترضاً مخطئاً من قال
بالصرف في الآية وبيت الفرزدق فقال : « وقوله (قادرين) نصب على الخروج
من (نجمع) كأنك قلت في الكلام : أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين
على أقوى منك ... وقول الناس بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت
خطأً ، لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل . ألا ترى أنك تقول :
أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل قلت أقام ، وكان خطأً أن تقول : أقائم أنت
إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

على قسم لأشتم الدهر مسلماً ولاخارجساً من فتي زور كلام

فقالوا : إنما أراد ، لأشتم ولاأخرج فلما صرفها إلى خارج نصبها ، وإنما

(٧٤) كتاب سيويه ١ : ٣٤٦

(٧٥) العين للخليل بن أحمد ٢ : ٥٢

نصب لأنه أراد عاهدت ربي لا شاتما أحدا ، ولانخارجا من فتي زور كلام ،
وقوله : لأشتم في موضع نصب .^(٧٦) .

فمن هؤلاء الناس الذين يعينهم الفراء ؟ لاشك أنهم البصريون إن لم يكن يعنى
الخليل ولم يصرح به كعادته . وقد قصدت أن أثبت نص كلام الفراء لأن فيه
دليلا على أن ماجاء في كتاب الجمل كان معلوما قبل أن يملى الفراء كتاب معاني
القرآن ، وبالموازنة بين ماجاء في الكتابين نشعر بأنه العبارات الواردة في كتاب
الجمل كانت كأنها ماثلة أمام الفراء

وعلى هذا أستطيع أن أقول في اطمئنان : إن مفهوم النصب بالصرف على
النحو الوارد في كتاب الجمل كان قديما أخذ منه الكوفيون بعضا ورفضوا بعضا ،
أخذوا منه مايتعلق بنصب المضارع المسبوق بالواو بعد نفى أو طلب ، والاسم
المنصوب بعد واوالمعية وقد وضع الفراء مفهوم الصرف بقوله : « فإن قلت
وماالصرف ؟ قلت : أن تأتى بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لاتستقيم
إعادتها على ما عطف عليها ، فإن كان كذلك فهو الصرف كقول الشاعر :
لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومثله من الأسماء التى نصبتها العرب وهى معطوفة على مرفوع قولهم : لو
تركت والأسد لأكلك ، ولو خلعت ورأيتك لضللت »^(٧٧) .

ب — الرفع بالصرف :

جاء في الجمل : « والرفع بالصرف قول الله عز وجل : (ولاتمنن
تستكثرون)^(٧٨) . ذكر النحويون أن معناه : ولاتمنن مستكثرا . فصرف من
منصوب إلى مرفوع ومثله : (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)^(٧٩) ثم ذرهم في

(٧٦) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٠٨ . وكما خطأ للفراء النصب بتحويل تقدير إلى قادرين خطأه أبو جعفر

النحاس أيضا انظر إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٥ : ٧٩

(٧٧) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٣ ، ٣٤

(٧٨) سورة المدثر آ : ٦

(٧٩) سورة الأنعام آ : ٩١

خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع ... » وقال الآخر
 متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
 رفع تعشو على معنى : تأتته عاشيا فصرف من النصب إلى الرفع ^(٨)
 واصطلاح الرفع بالصرف لم أقف عليه في غير هذا الكتاب ولكن حول هذا
 المعنى قال سيبويه : « تقول ذره يقل ذاك ، وذره يقول ذاك ، فالرفع من وجهين
 فأحدهما الابتداء ، والآخر على قولك ذره قائلا ذره قائلا ذاك فتجعل يقول في
 موضع قائل ... ومثال الرفع قوله تعالى حده (ذرههم في خوضهم يلعبون) ^(٨١) .
 وعلى هذا يكون مفهوم الصرف هنا تحويل الحال المفرد إلى جملة فالمفرد منصوب ،
 والفعل المضارع مرفوع هذا من الناحية التركيبية أما من الناحية الدلالية فقد
 صرف الكلام عن جهته أى عن كون الفعل حوانا للأمر — ولم يظهر هذا
 الاصطلاح أيضا عند الفراء ويوجه الآية توجيهها آخر فيقول « ولا تمنن تستكثر »
 وفي قراءة عبد الله ولا تمنن أن تستكثر فهذا وجه من الرفع فلما لم تأت بالناصب
 رفعت ^(٨٢) وكلام الفراء هنا متصل بما جاء في كتاب الجمل بعنوان الرفع على
 فقدان الناصب .

٩ — العطف — النسق — الموالاة

وردت هذه المصطلحات الثلاثة لمفهوم واحد هو الإتيان بوساطة حرف .
 فجاء في الجمل : « ثم قرءوا : (والجروح قصاص) ^(٨٣) ويقال إنه عطف على
 موضع إن لأن موضعها مبتدأ . ويقال مقدم ومؤخر . قال الفرزدق :
 تنح عن البطحاء إن جسيمها لنا والجبال الباذخات الفوارع
 فرفع الجبال على الابتداء ولم ينسق ^(٨٤) .

وفي هذا النص نجد المصنف استعمل مصطلح العطف ومصطلح النسق ،

(٨٠) الحمل : ١٤٢

(٨١) كتاب سيبويه ٣ : ٩٨

(٨٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٥٣

(٨٣) سورة المائدة آ . ٤٥

(٨٤) الحمل ١٣٠

والشائع أن العطف اصطلاح بصرى ، وأن النسق اصطلاح كوفى ، وهذا غير صحيح فالاستعمالان واردان فى المقتضب للمبرد أيضا فى قوله : « فالتى تنسق ثم تنسق هاهنا ، كما كان ذلك فى الواو ، والفاء ، وثم ، وجميع حروف العطف »^(٨٥) وقال : « (حتى) التى تقع فى الاسم ناسقة »^(٨٦) . فكما لانستطيع أن نقول إن المبرد خلط المذهبين لايلىزم أن نقول إن مصنف كتاب الجمل متأخر واخلط المذهبين .

وقال صاحب الجمل : « ومن روى مسجّث ومجّلف بكسر الحاء واللام فى مجّلف فإنه رفعه على المولاة لأنه جعل إلا بمزلة الواو »^(٨٧) واستعمال « المولاة » بمعنى العطف أيضا نجده عند أبى عبيدة فى قوله معلقا على قول الله عز وجل : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم »^(٨٨) : « موضع » إلا « هاهنا ليس بموضع استثناء إنما هو موضع واو المولاة »^(٨٩) .

فاستعمال هذه الكلمات الثلاث فى كتاب الجمل يدل على تقدم مصنفه قبل شيوعها مصطلحات عند البصريين والكوفيين .

١٠ — العماد :

ورد هذا الاصطلاح فى كتاب الجمل عند حديث مصنفه عن « هاء العماد » وعن « فاء العماد » وسنعرض كلا منهما على حدة .
أ — هاء العماد :

لايريد المصنف بهاء العماد ضمير الفصل فى اصطلاح البصريين بل يريد مايعرف بضمير الشأن . فقال :

وهاء العماد : مثل قولهم : إنه قائم فيها أحوك ، وإنه قائم فيها أبوك ، وإنه قائم فيها

(٨٥) المقتضب ٢ : ٣٩

(٨٦) نفسه

(٨٧) الجمل : ١٤٦

(٨٨) سورة البقرة آ . ١٥٠

(٨٩) محار القرآن ١ : ٦٠

أختك ، وإنه قائم فيها أختاك ، وإنه قائم فيها أخواتك ، وليست هذه الهاء في هذا الموضع اسماً^(٩٠) ثم قال : « قال جل وعز : (إنه مصيها مأصباهم)^(٩١) ، و (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن)^{(٩٢)(٩٣)} . وقد عبر المصنف عن هذه الهاء في موضع آخر بأنها صلة فقال : وكذلك قول الله جل اسمه في سورة الجن : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الهاء صلة وليست بكناية^(٩٤) . وهو يريد بالصلة الزيادة ويريد بالكناية الضمير .

وإذا نظرنا في كتاب سيويه نجده لا يستعمل كلمة العماد في حديثه عن هذه الهاء بل يقرر أن الهاء ضمير يفسره مابعد ويسمى الهاء إضمار الحديث فيقول : « وما يضمّر لأنه يفسره مابعد ولا يكون في موضعه مظهر قول العرب : إنه كرام قومك ، وإنه ذاهبة أمتك ، فالهاء إضمار الحديث الذي ذكرت بعد الهاء كأنه في التقدير .. وإن كان لا يتكلم به — قال : إن الأمر ذاهبة أمتك ، وفاعلة فلانة^(٩٥) ، فصار الكلام كله خبراً للأمر^(٩٥) .

وحذا المبرد حذو سيويه في استعمال كلمة الحديث والأمر^(٩٦) وأما الفراء فقد وضع أن المراد من العماد أعم من أن يقابل ضمير الفصل عند البصريين في معرض حديثه عن قوله تعالى : (وهو محرم عليكم إخراجهم)^(٩٧) مجوزاً أن يكون « هو » عماداً . فقال : « فإن قلت إن العرب إنما تجعل العماد في الظن لأنه ناصب ، وفي كان وليس لأنهما يرفعان ، وفي إن وأخواتها لأنهن ينصبين ولا ينبغي للواو وهي لا تنصب ولا ترفع ولا تخفض أن يكون لها عماد ، قلت لم يوضع العماد على أن يكون النصب أو لرفع أو لخفض وإنما وضع في كل موضع يتبدأ فيه

(٩٠) الحمل : ٢٧٠

(٩١) سورة هود آ : ٣١

(٩٢) سورة الجن آ : ١

(٩٣) الحمل : ٢٧٠

(٩٤) السابق : ١٣٥

(٩٥) كتاب سيويه ٢ : ١٧٦

(٩٦) المقتضب ٢ . ١٤٤

(٩٧) سورة

بالاسم قبل الفعل ... فلما بدأت بالفعل وإنما تطلب الواو الاسم أدخلوا لها « هو » لأنه اسم^(٩٨) . والمراد بالفعل هنا ما يشمل المشتقات .

فمفهوم العماد عند الفراء موافق لما يعنيه مصنف الجمل وهو مطابق لما يعرف بضمير الشأن الذى عبر عنه سيبويه بضمير الحديث والأمر .

وقال ثعلب (ت ٢٩٠) : « وقال الكسائى وسيبويه : هو من (قل هو الله أحد)^(٩٩) ، عماد . فقال الفراء : هذا خطأ ، من قبل أن العماد لا يدخل إلا على الموضع الذى يلي الأفعال ويكون وقاية للفعل مثل : إنه قام زيد ، ثم يستعمل بعد فيتقدم ويتأخر ، والأصل فى هذا إنما قام زيد . فالعماد كـ « ما » وكل موضوع فعلى هذا جاء يقى الفعل وليس مع (قل هو الله أحد) شيء يقيه^(١٠٠) .

ونتبين من هذه النصوص أن اصطلاح العماد الذى يطلق على بعض الضمائر كان مصطلحاً يشمل ما يعرف بضمير الشأن وما يعرف بضمير الفصل الذى يقع بين المبتدأ والخبر وما كان أصلهما مبتدأ وخبراً ثم خصص كل منهما باصطلاح عند البصريين .

ب — فاء العماد :

جاء فى كتاب الجمل : (وأما) بفتح الألف فلا بد له من فاء تكون عماداً . تقول : أما زيد فعاقل ، وأما محمد فلييب . فالفاء عماد والعاقل خبر الابتداء^(١٠١) .

فكلمة العماد هنا لاتعنى شيئاً مما سبق ذكره فى هاء العماد وإنما يراد بها المعنى العام أى فاء يعتمد عليها فى ربط الخبر بالمبتدأ الواقع بعد « أما » .

(٩٨) معانى القرآن الفراء ١ : ٥١

(٩٩) الإحلاص آ : ١

(١٠٠) محال ثعلب ٢ : ٣٥٤ ط ٢

(١٠١) الجمل : ٣١٠

١١ - التفسير والتمييز :

يفرق المصنف بين المصطلحين فيجعل التفسير خاصا بتفسير الذات ، ويجعل التمييز خاصا بالنسب ، فيتناول كلا منهما على حدة ويجعل كل واحد منهما وجها من وجوه النصب فيقول : « والنصب من تفسير . قولهم عندك خمسون رجلا نصبت رجلا على التفسير ، وقال الله عز وجل : (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة)^(١٠٢) نصبت نعجة على التفسير »^(١٠٣) . ثم قال : « والنصب من التمييز قولهم أنت أحسن الناس وجها ، وأسمحهم كفا » ويسوق آيات وأبياتا كلها من هذا القليل .

ولم أجد في كتاب سيبويه كلمة التمييز أو مشتقاتها ، وإنما ورد فيه فسر ويفسر والتفسير ومن ذلك قوله : « فإذا قال لك كم لك درهما ؟ أو كم درهما لك ؟ ففسر مايسأل عنه قلت : عشرون درهما »^(١٠٤) . وقوله : « ولا يجوز لك أن تقول نعم ولا ربّه وتسكمت لأنهم إنما بدعوا بالإضمار على شريطة التفسير »^(١٠٥) وقوله : « وإذا قلت كم عبد الله ماكث . فكم أيام وعبد الله فاعل ، وإذا قلت : كم عبد الله عندك : فكم ظرف من الأيام ، وليس يكون عبد الله تفسير الأيام لأنه ليس منها . والتفسير كم يوما عبد الله ماكث وكم شهرا عبد الله عندك »^(١٠٦) .

فالتفسير عند سيبويه يشمل مايعرف بتمييز الذات وتمييز النسبة ، وتمييز الضمائر في ربه رجلا ، ونعم رجلا عبد الله وويحه رجلا وأكرم به رجلا . كما كان سيبويه يسمى مايعرف بالتمييز : الاسم المبين للمبهم .

أما الفراء فهو أيضا يستعمل كلمة التفسير شاملة لتمييز الذات وتمييز النسبة فقال في قوله تعالى : (أحد عشر كوكبا)^(١٠٨) : فأما نصب كوكب فإنه يخرج

(١٠٢) سورة ص آ : ٢٣

(١٠٣) الحمل : ٤٥

(١٠٤) كتاب سيبويه ٢ : ١٥٧

(١٠٥) السابق ٢ : ١٦٩

(١٠٦) السابق ٢ : ١٧٦

(١٠٧) كتاب سيبويه ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠

(١٠٨) سورة يوسف آ : ٤

مفسرا للنوع من كل عدد ليعرف مأخبرت عنه^(١٠٩) . وقال في قوله تعالى :
(فله جزاء الحسنى)^(١١٠) : « نصب الجزاء على التفسير »^(١١١) وقال في قوله
تعالى : (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا)^(١١٢) : « فخرجت النفس
مفسرة »^(١١٣) .

أما المبرد فيستعمل في المقتضب مصطلح التمييز والتبيين ولا يخص أحدهما بشيء
دون الآخر فيطلقهما على تمييز الذوات والنسب . فقد عقد بابا عنوانه : « هذا
باب التبيين والتمييز »^(١١٤) وفيه يقول : « اعلم أن التمييز يعمل فيه الفعل »^(١١٥)
ويقول : « واعلم أن التبيين إذا كان العامل فعلا جاز تقديمه لتصرف الفعل فقلت
تفقات شحما »^(١١٦) ويبدو أنه استعمل كلمة التبيين من وحى قول سيبويه :
« الاسم المبين للمبهم » .

واستعمل ثعلب (ت ٢٩٠ هـ) اصطلاح التفسير فقال في قوله تعالى :
(لاتتخذوا إلهين اثنين)^(١١٧) : « يرجع إلى الأصل لأنه كان ينبغي أن يكون مع
الواحد والاثنين تفسير كما كان في الجمع ولكن لم يجيء . والأصل درهم واحد ،
ثوب واحد ، درهماً اثنان ثوبان اثنان كما يقال دراهم ثلاثة وأربعة »^(١١٨) .

أما الطبري (ت ٣١٠ هـ) فيستعمل مصطلح التفسير ومصطلح التبيين^(١١٩)
وكأنه بذلك جمع بين الفراء والمبرد . أما أبو بكر الأنباري ت (٣٢٨ هـ) فقد

(١٠٩) معاني القرآن ٢ : ٣٣

(١١٠) سورة الكهف آ : ٨٨

(١١١) معاني القرآن ٢ : ١٥٩

(١١٢) سورة النساء آ : ٤

(١١٣) معاني القرآن ١ : ٢٥٦

(١١٤) المقتضب ٣ : ٣٢ — ٣٨

(١١٥) السابق ٣ : ٣٢

(١١٦) السابق ٣ : ٣٦

(١١٧) سورة النحل آ : ٥١

(١١٨) مجالس ثعلب ٢ : ٤٣٧ ط ٣ وانظر : ٤٢٥

(١١٩) أنظر تفسير الطبري ٣ : ٩٠ ، ٦ ، ٥٨٦

اقتفى أثر الفراء في استعمال مصطلح التفسير^(١٢٠) . أما أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) فيقول : « باب التفسير . اعلم أن كل شيء ذكرته مما يحتمل أنواعا ثم فسرت بنوع نكرة كان التفسير نصبا . تقول من ذلك : عندي خمسة عشر درهما نصبت الدرهم على التفسير . ويقال على التمييز ومثله عندي عشرون عبدا ، وهذه خمسة أرتال زيتا ، وفلان أكثر الناس مالا وأحسنهم وجها »^(١٢١) فهو يعد التمييز والتفسير مترادفين ويشمل كل منهما ما يعرف بتمييز الذات وتمييز النسبة . أما الزجاجي فإنه يستعمل مصطلح التمييز ويشمل تمييز الذات وتمييز النسب أيضا^(١٢٢) . وهكذا يصنع ابن جني في كتاب اللمع^(١٢٣) .

ويبدو من تتبع مصطلح التفسير والتمييز أن مصطلح التفسير كان سابقا على مصطلح التمييز ؛ ولكن تخصيص كل مصطلح منهما بشق على النحو الوارد في كتاب الجمل المفرد بهذه القسمة يشعر بأنهما ظهرا معاً في فترة تتسم بتعدد المصطلحات . وتخصيص كل جزئية بمصطلح يمثل السمة العامة لكتاب الجمل المنسوب للخليل ، ومن ذلك خبر المعرفة^(١٢٤) ، والحال^(١٢٥) ، والنصب من القطع^(١٢٦) ، والنصب على الاستغناء وتمام الكلام^(١٢٧) ، والنصب من نعت النكرة تقدم على الاسم^(١٢٨) ، والنصب بخبر مابال وأخواتها^(١٢٩) ، وكل هذه الوجوه والمسائل تندرج تحت مصطلح الحال . ومما لاشك فيه أن هذه الفترة تناسب ما قبل سيبويه واختار هو في كتابه ما اختار .

١٢ — الفصل : ضمير الفصل

لقد فرق المصنف بين ضمير الفصل وضمير الشأن الذي سماه عمادا فأشار

(١٢٠) انظر شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري : ١١ ، ٧٠ ، ٤٠٩

(١٢١) التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس : ٢٤

(١٢٢) انظر الجمل للزجاجي : ٢٤٢ واللمع لارحى ١٤٧ — ١٤٩ ، ٢٢١ — ٢٢٤

(١٢٣) انظر الجمل . ١٧٠

(١٢٤) السابق : ٤٠

(١٢٥) السابق . ٣٨

(١٢٦) السابق . ٧٩

(١٢٧) السابق . ٧٥

(١٢٨) السابق : ٥٧

إلى ضمير الفصل بقوله : « وتقول هم قوم كرام فإذا جعلت هذه الحروف فصلا بين حروف الترائي وحروف كان لم تعمل شيئا ، وأجريت الكلام على أصله كقولك كان عمرو وهو خيرا منك »^(١٢٩) ويستشهد المصنف بخمس آيات استشهد سيبويه بثلاث منها . ثم يقول : فأما تميم فترفع هذا كله ، ويجعلون المضمر مبتدأ وما بعده خبره »^(١٣٠) .

والمصنف بتفرقة بين ضمير العماد وضمير الفصل لم يسلك مسلك الكوفيين الذين جعلوا ضمير العماد مقابلا لضمير الفصل عند البصريين ، كما لم يجعل ضمير العماد شاملا لضمير الشأن وضمير الفصل كما صنع الفراء . وقد سبق بيان ذلك في حديثنا عن مصطلح العماد .

١٣ — الفعل الدائم :

استعمل المصنف هذا الاصطلاح وهو لا يريد اسم الفاعل كما فهم الكوفيون بل يريد الفعل الدال على الحال أو الحدث الحاضر . فقال : « النصب بالاستفهام . قولهم : أقعدوا والناس قيام ؟ على معنى : أتقعدون والناس قيام ؟ وهذا فعل ليس بماض ولا مستقبل وهو فعل دائم أنت فيه »^(١٣١) .

وقد يتبادر للذهن أنه مصطلح كوفي والأمر ليس كذلك لأن المصنف يريد أن الحدث المفهوم من (قعود) و (قيام) ليس حدثا ماضيا ولا حدثا مستقبلا بل هو حدث في حال التخاطب من قعود يقابله قيام . وعبارة سيبويه قريية مما أورده المصنف ، قال سيبويه : « وأما ما ينتصب في الاستفهام من هذا الباب فقولك : أقياما يافلان والناس قعود ، وأجلوسا والناس يعدون ، لا يريد أن يخبر أنه يجلس ، ولا أنه قد جلس وانقضى جلوسه ولكنه يخبر أنه في تلك الحال في جلوس وقيام . قال الراجز وهو العجاج :

(١٢٩) السابق : ١٦٧

(١٣٠) السابق : ١٦٨

(١٣١) الحمل : ٨٧

* أطربا وأنت تَنسِرِي *

رإنما أراد : أتعرب أى أنت فى حال طرب ؟ ولم يرد أن يخبر عما مضى ولا عما يستقبل (١٣٢) .

وقد يعبر عن الذعل المضارع الدال على الحال بالفعل الدائم . قال الزجاجي : « الأفعال ثلاثة : فعل ماض ، وفعل مستقبل ، وفعل فى الحال يسمى الدائم » (١٣٣) ثم قال : « وأما فعل الحال ، فلا فرق بينه وبين المستقبل فى اللفظ كقولك زيد يقوم الآن ويقوم غدا » (١٣٤) .

فقول المصنف فعل دائم أنت فيه لاتعنى اسم الفاعل ، لأن الأمثلة والشواهد التى أوردها تتضمن مصادر مثل : « قعودا » ، « وطربا » ، « ولؤما » .

١٤ — الفعل الصحيح

جاء فى الجمل : « الفعل الصحيح الذى لا يذهب عند فعلت منه شيء ولا تنتقل حركته إلى حركة ، ولا سكون ، بعضها إلى موضع بعض مثلما يتحرك فى قولك : « يَقُولُ » فالياء متحركة ، والقاف متحركة ، والواو ساكنة ، « ويقول » يَفْعُل . فقد انتقل سكون الواو إلى الفاء ، وتحركت العين وهى فى موضع الواو من « يقول » . ولو كان الفعل صحيحا لم يتغير كقولك : يضرب ، ويشتم ، ويخرج ، ويدخل » (١٣٥) .

والفعل الصحيح بهذا المفهوم يقابله الفعل الأجوف فقط لأنه هو الذى يحذف منه حرف أو يحدث نقل حركة بعض حروفه فى صيغة مضارعة بخلاف المثال فى بعض صوره ، والناقص . لأننا نقول فى وزن : وزنت ، ويزن ، ولكننا نقول فى وجل يوجل دون حذف فاء الكلمة . ونقول فى طوى طويت وفى دعا دعوت ورضى رضيت . إلا أن تمثيل المصنف للفعل الصحيح بقوله : « لأنك إذا قلت : ضربت وشتمت ، فـ « فعلت » لم يتغير منه شيء . وهو قياسه » (١٣٦) .

(١٣٢) كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨

(١٣٣) الجمل للرحاحى . ١٣٣

(١٣٤) السابق : ١٣٤

(١٣٥) الجمل : ٢٩٤ ، ٢٩٥

(١٣٦) الجمل : ٢٩٥

١٥ — الفعل المعتل :

جاء في الجمل : « إذا وجدت الأسماء والأفعال وفيها واو أو ياء ، فلم تثبت إذا رددت الاسم والفعل إلى فعلت فذلك الاسم والفعل معتل مثل : أقول ، وأعوذ وتقول ، وتكيل . هذه أفعال معتلة . والدليل على ذلك أنك إذا رددتها إلى فعلت لم تثبت الواو والياء » (١٣٧) .

فهذا المفهوم للفعل المعتل يساير المفهوم السابق للفعل الصحيح والمقابلة بينهما واضحة وإن كان هذا المفهوم لا يشمل كل صور ما يعرف بالمعتل من الأسماء والأفعال ويشعر بأنه خاص بمعتل العين .

١٦ — الفعل المستقبل :

جاء في الكلمة : « والرفع في الأفعال المستقبلية وهو الفعل المستأنف رفع أبداً إلا أن يقع عليه حرف جازم ، أو حرف ناصب ، وعلامة المستقبل أن يقع في أول الفعل أحد هذه الحروف الأربعة وهي : الألف ، والتاء ، والياء ، والنون » (١٣٨) وواضح أن المصنف يريد بذلك ما أطلق عليه سيبويه الفعل المضارع بقوله : « والنصب في المضارع من الأفعال : لن يفعل ، والرفع : سيفعل ، والجزم لم يفعل » (١٣٩) .

ولم يستعمل مصنف كتاب الحمل التعبير بالفعل المضارع . وأرى أن التعبير بالفعل المستقبل كان سابقاً على التعبير بالمضارع فهو مناسب للتقسيم الزمني أما التعبير بالمضارع فلا يوحى بزمان ولا يدل عليه . وقد استعمل المصطلحان بعد سيبويه ، وابن خالويه يستعملهما معاً في إعراب قوله تعالى : (إنه يعلم الجهر وما يخفى) (١٤٠) : « يعلم فعل مضارع ... ويخفى فعل مستقبل » (١٤١) .

(١٣٧) السابق : ٢٩٤

(١٣٨) الحمل : ١٦٤

(١٣٩) كتاب سيبويه ١ : ١٤ وانظر ١ : ١٩ ، ٢١ : ٣ ، ٥ : ٨

(١٤٠) سورة الأعلى آ : ٧

(١٤١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه : ٥٨ وانظر ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٠ ، ٦٧ ، ٥٩ ،

١٧ — الفعل الواقع :

يريد المصنف بالفعل الواقع الفعل المضارع لفظا الماضى فى المعنى فيقول :
« والرفع بحتى إذا كان الفعل واقعا . قولهم سرنا حتى ندخلها ، رفعت ندخلها
لأنه فعل قد مضى وهو واقع ، فكأنه صرف من النصب إلى الرفع ووجهه : حتى
دخلناها »^(١٤٢) . وهذا المعنى وارد فى كتاب سيبويه فى قوله : « ألا ترى أنك لو
قلت أئین الذى سار حتى يدخُلها وقد دخلها لكان حسنا ، ولجاز هذا الذى
يكون لما قد وقع ، لأن الفعل ثم واقع »^(١٤٣) .

وقد عبر المصنف فى كتاب الجمل بالفعل الواقع عن الفعل المتعدى فقال :
« فإذا أوقعت عليه الفعل فانصب نحو قولك : قلت خيرا ، قلت شرا . نصبت
لأنه فعل واقع »^(١٤٤) وقد استعمل سيبويه هذه المادة أيضا فى الدلالة على تعدى
الفعل إلى المفعول به فى غير موضع ومن ذلك تعليقه على قول جرير :
أثعلبة الفوارس أم رياحا عدلت بهم طهيئة والخشابا

فإذا أوقعت عليه الفعل أو على شيء من سببه نصبتن »^(١٤٥) ، والتعبير عن
الفعل المتعدى والتعدى بالفعل الواقع ، والوقوف وارد فى كتب الكوفيين
أيضا^(١٤٦) .

١٨ — الاستفهام والاستخبار ، والتحقيق والإيجاب :

يفرق المصنف بين ألف الاستفهام ، وألف الاستخبار ، وألف التحقيق
والإيجاب . فيخص ألف الاستفهام بوقوع « أم » بعدها . فيقول : ثم اعلم أن

(١٤٢) الحمل : ١٦٢

(١٤٣) كتاب سيبويه ٣ : ٢٥

(١٤٣) كتاب سيبويه ٣ : ٢٥

(١٤٤) الحمل : ١٤٩

(١٤٥) كتاب سيبويه ١ : ١٠٢ وانظر ١ : ١٠٣ ، ٧٤

(١٤٦) انظر تفسير الطبرى ٦ : ٣٦٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٦٦ . وديوان الأدب للفارابى ١ : ٧٨ ، ٩٠

ألف الاستفهام أمارتها يعنى علامتها « أم » نحو قول الله عز وجل : (آنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)^(١٤٧)^(١٤٨) .

ويقول عن ألف الاستخبار : « وأما ألف الاستخبار لانتحتاج إلى أم تقول : أعندى شيء ؟ آنت الرجل ؟ »^(١٤٩) .

ويقول : « وأما ألف التحقيق والإيجاب . نحو قول الرجل للرجل : آأنت فعلت كذا وكذا ؟ آأنت قلت كذا وكذا ؟ وقد علم أنه فعل فهو كأنه يستجيزه أن يخبر عنه بمعنى إنه وجب عليه ذلك »^(١٥٠) .

ولم أجد من فرق بين هذه الألفات على هذا النحو إلا أن أبا بكر الأنبارى قال عن ألف الاستفهام : « تعرف بمجىء « أم » بعدها أو يحسن « هل » فى موضعها »^(١٥١) ، وهو بذلك يدخل الاستخبار فى الاستفهام . أما الرمانى فيوضح أن الهمزة تستعمل فى موضعين : فى النداء والاستفهام ويبين أنها فى الاستفهام تأتى على أوجه . تكون استفهاما على جهل من المستفهم ، وتكون إنكارا ، وتكون توبيخا ، وتكون تعجبا ، وتكون استرشادا ، وتكون تقريرا وتحقيقا ونفى أو تصرف همزة الاستفهام على معنى الإيجاب^(١٥٢) . ولكن فى نسخة كوبرلى يقول : وألف الإيجاب نحو قول الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(١٥٣)

وقد استشهد مصنف كتاب الجمل بهذا البيت على ألف الإيجاب أيضا . كما عبر أبو عبيدة عن الألف فى هذا البيت وفى قوله تعالى : « أتعجل فيها من يفسد

(١٤٧) سورة الواقعة آ : ٦٩

(١٤٨) الحمل : ٢٣٤

(١٤٩) السابق : ٢٣٥

(١٥٠) السابق : ٢٤٧

(١٥١) مختصر الألفات : ٢٥

(١٥٢) انظر معانى الحروف للرمانى : ٣٢ ، ٣٣

(١٥٣) المرجع السابق : ١٤٤

فيها^(١٥٤) بأن الألف جاءت على لفظ الاستفهام ، ولكن المعنى إيجاب^(١٥٥) .

١٩ — القطع : النصب من القطع

يرد هذا الاصطلاح في كتب النحو ، وقد يبدو أنه مألوف ، ولكن دلالة في هذا المصنف غير شائعة وتشعر بأنه ضارب في القدم ، وسنورد من هذا الكتاب ما يبين دلالة :

جاء في كتاب الجمل : « والنصب من القطع مثل قولك هذا الرجل واقفا ، وهأنذا عالما . قال الله جل ذكره . (وهذا صراط ربك مستقيما)^(١٥٦) ومثله : (فتلك بيوتهم خاوية)^(١٥٧) على القطع ، ومثله : (وهذا بعلى شيخا)^(١٥٨) ، وكذلك : (وله الدين واصبا)^(١٥٩) وكذلك : (وهو الحق مصدقا)^(١٦٠) معناه : وله الدين الواصب ، وهو الحق المصدق ، وكذلك : (تساقط عليك رطبا جنيا)^(١٦١) معناه تساقط عليك الرطب الجنى . فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام^(١٦٢) .

فمعنى القطع عند المصنف قطع الألف واللام مما يكون نعتا لما قبله فينصب ، وإن كان في تطبيق ذلك على قوله تعالى (تساقط عليك رطبا جنيا) نظر ، وهذا المفهوم غير شائع في كتب النحو ، وقد أورده الفراء في مواضع كثيرة منها قوله في (وامرأته حمالة الحطب)^(١٦٣) : « وأما النصب فعلى جهتين إحداهما أن تجعل الحمالة قطعاً لأنها نكرة ، ألا ترى أنك تقول : وامرأته الحمالة الحطب ، فإذا

(١٥٤) سورة البقرة آ : ٣٠

(١٥٥) محاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٥

(١٥٦) سورة الأنعام آ : ١٢٦

(١٥٧) سورة النمل آ : ٥٢

(١٥٨) سورة هود آ : ٧٢

(١٥٩) سورة النحل : ٥٢

(١٦٠) سورة البقرة آ : ٩١

(١٦١) سورة مريم آ : ٢٥

(١٦٢) الحمل : ٣٨

(١٦٣) سورة المسد : ٤

أُقيت الألف واللام كانت نكرة ، ولم يستقم أن تُنعت معرفة بنكرة « (١٦٤) .

واستعمل الطبرى اصطلاح القطع بهذا المفهوم (١٦٥) مقتنيا أثر الفراء .
وقال أبو بكر الأنبارى فى تعليقه على قول امرئ القيس :

وقفا بها صحبى على مطيهم

« قال أبو العباس كأنا أصحابنا يقولون نصب وقفا على القطع من الدخول
فحومل ، وتوضح فالمقراة « .. ثم يقول : « وقال بعض النحويين نصب وقفا على
القطع من الهاء التى فى نسجتها كما تقول مررت بها جالسا أبوها ، فتنصب جالسا
على القطع من الهاء . وقال بعض أهل اللغة التقدير بين الدخول فحومل فتوضح
فالمقراة الوقوف بها صحبى ، فلما أسقط الألف واللام نصبه على القطع ... إلا
أن الفراء أنكر قول الذين يقولون : القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه ،
وقال يلزمهم ألا يأتوا بالقطع من الممكنى فلا يقولوا : أنت متكلما أحسن منك
سأكننا إذ كانت الألف واللام لا تحسن فى متكلم لأن أنت لشهرته لاينعت (١٦٦) .
ولايعنينا هنا تتبع تاريخ المصطلح بقدر مايعنينا أنه مصطلح قديم ، بمعنى أن
يكون النصب بقطع الألف واللام سابقا على زمن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ بدليل
اعتراضه عليه كما ذكر أبو بكر الأنبارى فى النص الذى سبقناه له . كما بين الفراء
المعنى الأصلى للقطع فقال : « وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مما قبله .
وهذه محض القطع الذى تسمعه من النحويين « . ومعنى هذا أن المصطلح
بمفهومه الذى نص عليه مصنف كتاب الجمل كان جاريا على السنة النحويين
وأقلامهم بل كان جزءا من المفهوم النحوى فى فترة مبكرة . ولايلزم من وروده عند
الفراء والطبرى وأبى بكر الأنبارى أن يكون المصطلح كوفيا محضا فقد يكون من
المصطلحات القديمة التى توارت أمام مصطلحات أخرى حلت محلها فى فترة
استقرار المصطلح النحوى .

(١٦٤) معانى القرآن للفراء ٣ : ٢٩٨ ، وانظر ١ : ٧ ، ١٢ ، ٢ : ٦ : ٢٨٦ ، ٢٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،

٤٢٥ ، ٣ : ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ٨٣

(١٦٥) انظر تفسير الطبرى : ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٣٠ ، ٥٦١ ، ٥ : ١٣٧ ، ٣٩٢

(١٦٦) شرح القيسائد السبع الطوال لأبى بكر الأنبارى : ٢٤

وأحب أن أشير إلى أن اعتراض الفراء بقوله : « يلزمهم ألا يأتوا بالقطع من المكنى فلا يقولوا أنت متكلمما أحسن منك ساكتا إذ كانت الألف واللام لا تحسن في متكلم لأن أنت لشهرته لاينعت » دفعه صاحب الجمل بأن جعل لذلك مصطلحا آخر هو « الحال » ومثل للنصب من الحال بقوله : « أنت جالسا أحسن منك قائما » وقد سبق بيان ذلك في حديثنا عن مصطلح « الحال » .

وقد جاء « القطع » في كتاب الجمل بمفهوم آخر متصل بالفعل . يقول المصنف : « وتقول : إن تزورني وتكرمني أزرِك وأكرمك وهذا الفعل الذي أدخلت عليه الواو يرفع وينصب ويجزم . فمن جزم نسقه على الأول ، ومن نصب فعلى القطع من الكلام الأول ، ومن رفع فعلى الابتداء »^(١٦٧) . فالمراد بالقطع هنا الاستئناف .

٢٠ — مالم يذكر فاعله ، ومالم يسم فاعله .

جاء في كتاب الجمل : « ومالم يذكر فاعله . ضُرِبَ زيد ، وكُسِيَ عمرو »^(١٦٨) وهو يعدد وجوه الرفع . ويقصد المصنف بذلك ما يعرف بنائب الفاعل . واستعمل المصنف في موضع آخر مصطلح « مالم يسم فاعله مريدا ما يعرف بالفعل المبني للمجهول فقال : « تقول : اصطنعتك ، اصفيتك فإذا عدوتها إلى مالم يسم فاعله ضمنت في ابتدائها تقول اضطر ، استخرج استعمل »^(١٦٩) .

والشائع في استعمال هذين المصطلحين عند المتقدمين أن يدللا على الفعل المبني للمجهول أما نائب الفاعل فقد عبر عنه سيويه بقوله : « المفعول الذي لم يتعد إليه فعل الفاعل »^(١٧٠) وعبر عنه المبرد بقوله : « المفعول الذي لم يذكر فاعله »^(١٧١) . وعبر عنه الزبيدي بقوله : المفعول الذي لم يسم فاعله »^(١٧٢) أما ابن

(١٦٧) الجمل : ١٩٥

(١٦٨) السابق : ١١٨

(١٦٩) السابق : ٢٢٦

(١٧٠) كتاب سيويه ١ : ٣٣

(١٧١) المفتاح ٤ : ٥٠

(١٧٢) الواضح في علم العربية : ١٦

خالويه فقد عبر عن الفعل المنى للمجهول بقوله : مالم يسم فاعله ، وعبر عن نائب الفاعل بقوله : « اسم مالم يسم فاعله »^(١٧٣) وهذا تعبير غريب .

٢١ - النصب بفقدان الخافض :

يريد المصنف بفقدان الخافض حذف عامل الجر ونصب ما كان مجرورا . وهذا المفهوم وضحه سيبويه بقوله تعليقا على قوله تعالى : « واختار موسى قومه »^(١٧٤) وسميته زيدا ، وكنيت زيدا أبا عبد الله ، وأستغفر الله ذنبا ، وأمرتك الخير : « وإنما فصل هذا لأنها أفعال توصل بحروف الإضافة فتقول : اخترت فلانا من الرجال ، وسميته بفلان كما تقول : عرفته بهذه العلامة ، وأوضحته بها وأستغفر الله من ذلك فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل . ثم قال : وليس كل الفعل يفعل به هذا »^(١٧٥) ولم يستعمل سيبويه لهذا المفهوم مصطلحا . وعبر عنه الفراء بقوله : « إلقاء الصفة »^(١٧٦) وعبر عنه الطبري بقوله : « فقد الخافض »^(١٧٧) . وهذا قريب من التعبير الوارد في كتاب الجمل . أما المبرد فقد صنع صنيع سيبويه^(١٧٨) .

والشائع في كتب النحو بعد ذلك قوطم النصب على نزع الخافض أو الحذف والإيصال .

ولنا أن نسأل هل مظهر مصطلح النصب بفقدان الخافض قبل سيبويه وعدل عنه ومن بعده المبرد واكتفيا بالتوضيح والشرح ؟ ثم لنا أن نسأل أيضا هل ابتكر الفراء (ت ٢٠٧ هـ) مصطلح « إلقاء الصفة » والكوفيون يعبرون عن حرف الجر بحروف الصفة كما سيأتى في حديثنا عن مصطلح الصفة ؟ أم أنه عبر عن مصطلح البصريين السابقين عليه والمعاصرين له وهو فقدان الخافض بما يناسب المصطلح الشائع عند الكوفيين ؟

(١٧٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ١٦ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣

(١٧٤) سورة الأعراف آ : ١٥٥

(١٧٥) كتاب سيبويه ١ : ٣٨ ، ٣٩

(١٧٦) معاني القرآن ١ : ٣٧٥ ، ٣ ، ٧٣ ، ٧٤

(١٧٧) تفسير الطبري ٢ : ٥١٩ ، ٤ : ٥٩٩

(١٧٨) انظر المقتضب ٢ : ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٤ : ٣٢٠

وقد توسع مصنف كتاب الجمل في مفهوم النصب بفقدان الخافض فمثل له بقوله تعالى : (إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه)^(١٧٩) وجعل التقدير (بأوليائه) ، وإلى هذا ذهب ثعلب^(١٨٠) ، وبقوله تعالى : (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)^(١٨١) وجعل التقدير (لعبده) ويقول فلما أسقط اللام نصب ، وبقوله تعالى : (أو عدل ذلك صياما)^(١٨٢) وجعل التقدير (من صيام) ، وبقوله تعالى (ما هذا بشرا)^(١٨٣) وجعل التقدير (بستر) ، وبقوله تعالى : (واختار موسى) قومه سبعين رجلا)^(١٨٤) وجعل التقدير (من قومه) وساق من الشعر سعة أبيات ، فلم يخص مصنف الجمل هذا المفهوم أى « النصب بفقدان الخافض » بخذف حرف الجر ونصب ما كان مجرورا ، بل شمل معمول المصدر المنصوب في نصب (عباده) ، والتمييز في (صياما) وخبر ما الحجازية ، والمفعول معه في قول الشاعر :

كونوا أنتم وبنى أبيكم مكان الكليتين من الطحال
وقال المصنف « أى مع بنى أبيكم فلما نزع (مع) نصبه » ، والمفعول لأجله في قول الشاعر

وأغمر عوارء الكرم اصطناعه وأعرض عن شتم الكرم تكرما
وقال : « أى لاصطناعه »^(١٨٥) .

وأرى أن هذا التوسع في تطبيق مفهوم النصب بفقدان الخافض يشعر بأن المصنف سبق مرحلة تخصيص وجوه الإعراب بالأبواب النحوية إن لم يكن سابقا على سيبويه .

-
- (١٧٩) سورة آل عمران : ١٧٥ وانظر الجمل : ٩٣
(١٨٠) انظر محالس ثعلب : ٢ : ٥٥ ط ٢
(١٨١) سورة مريم آ . ٢ وانظر الجمل : ٩٣
(١٨٢) سورة المائدة آ . ٩٥ وانظر الجمل : ٩٣
(١٨٣) سورة يوسف آ : ٣١ وانظر الجمل : ٩٣
(١٨٤) سورة الأعراف آ ١٥٥
(١٨٥) الجمل : ٩٥
(١٨٦) المرجع السابق . آ ٨٦

٢٢ — الصفة :

ورد هذا الاصطلاح في كتاب الجمل مرادا به حرف الجر فقال : « تقول جئتكَ بأكرم من زيد . قال الله تعالى في النساء : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها)^(١٨٧) . ولم يصرف . وقال : (بأحسن ما كانوا يعملون)^(١٨٨) فصرف أحسن لأن (ما) محل اسم ، ومن صفة ، ولا تضاف صفة^(١٨٩) . وقال أيضا : « وأما لام الصفة قولهم في لزيد ، ولعمرو ، ولحميد^(١٩٠) .

واصطلاح (الصفة) معروف عند الكوفيين قال الفراء : فلا تحذفن ألف (اسم) إذا أضفته إلى غير الله تبارك وتعالى ، ولا تحذفنها مع غير الباء من الصفات ، وإن كانت تلك الصفة حرفا واحدا مثل اللام والكاف^(١٩١) .

وقد استعمل مصنف كتاب الجمل مصطلح الصفة في مواضع يحسن أن نعرضها .

الموضع الأول في قوله : « وأما الفعل الذي يتوسط بين صفتين فهو نصب أبدا كقولك : أزيد في الدار قائما فيها ؟ ومثله قول الله عز وجل : (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها)^(١٩٢) يعني أن « في النار » صفة ، « وفيها » صفة فوق « خالد بينهما » . وخالدين تثنية وهو فعل ، فلا يجوز فيه الرفع ومن قال من النحويين : إن الرفع جائز فقد لحن^(١٩٣) .

وهذا النص يوضح أن الصفة قد تطلق على الجار والمجرور معا . وأكاد أقول إن الفقرة كلها ممتلئة بالمصطلح المعروف بأنه كوفي ويشهد لذلك استعماله كلمة

(١٨٧) سورة النساء آ : ٨٦

(١٨٨) سورة النحل آ : ٩٦

(١٨٩) الجمل : ١٧٢ ، ١٧٣

(١٩٠) السابق : ٢٤٩

(١٩١) معاني القرآن للفراء ١ : ٢ ، وانظر ١ : ٣١ ، ٣٢ ، ٣ : ١٤٦

(١٩٢) سورة الحشر آ : ١٧

(١٩٣) الحمل : ١١٥

الفعل مریدا بها الاسم المشتق ، وهذا استعمال شاع أنه كوفي ، ويعيننا في ذلك قراءة النص الآتي للفراء : « وقوله : فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين » وهي في قراءة عبد الله فكان عاقبتهم أنهما خالدان : وفي قراءتنا خالدين فيها . نصب ، ولأشبهى الرفع ، وإن كان يجوز ذلك أن الصفة قد عادت على النار مرتين والمعنى للخلود ، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداها على موضع الأخرى نصبت الفعل » (١٩٤) .

فكل من المصنف والفراء يطلق الفعل على الاسم المشتق ، والصفة على الجار والمجرور ، ومصنف كتاب الجمل يرى أن الرفع لحن ، والفراء لا يشبهه وإن كان جائزا . فهل كان المصنف سابقا على الفراء أم كان لاحقا له ؟ أعتقد أن هذه الجزئية لا تكون فيصلا في الأمر لأن القضية قضية كل لا جزء .

الموضع الثاني : في قوله : « خبر الصفة . تقول لزيد مال ، ولمحمد عقل ، وعليك قميص ، وفي الدار زيد واقف وإن شئت واقفا الرفع على خبر الصفة ، والنصب على الاستغناء وتتمام الكلام » (١٩٥) .

فالصفة هنا أيضا يراد بها الجار والمجرور ، والرفع بخبر الصفة قريب من تعبير الكوفيين في قولهم : الرفع بالصفة ، والمبتدأ والخبر مترافعان عندهم أي أن عامل الرفع في المبتدأ والخبر وعامل الرفع في الخبر المبتدأ . قال أبو بكر الأنباري في إعراب : « أمن أم أوفى دمنة » : « والدمنة رفع بالصفة » (١٩٦) وقال أيضا في قول الحارث بن حلزة :

ثم خيل من بعد ذاك مع الغـ سلاق لارأفة ولا إبقاء
« معناه : لا عندهم رأفة . والرأفة رفع بالصفة » (١٩٧) .

(١٩٤) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٤٦

(١٩٥) الجمل : ١٣٩

(١٩٦) شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري ٢٣٨

(١٩٧) المرجع السابق : ٤٨٧

الموضع الثالث في قوله : النصب على عدم الصفة يريد فقدان الخافض . قال
المصنف في تعليقه على قول هني بن أحمر :
عجبا لتلك قضية وإقامتى فيكم على تلك القضية أعجب
« نصب قضية على عدم الصفة أى من قضية » (١٩٨) .

وينبغي أن نشير إلى أن مصنف كتاب الجمل وإن كان قد استعمل مصطلح
الصفة مريدا به حرف الجر أو الجار والمجرور فقد استعمل أيضا مصطلح حرف
الجر في قوله : « يمين الله لأزروك . نصبت لأنك نزع حرف الجر » (١٩٩) ، كما
عبر عن حرف الجر أيضا بالخافض وهذا واضح في قوله فقدان الخافض وقد سبق
بيان هذا المصطلح . كما عبر عن حرف الجر بكلمة الزائد في قوله : فالباء الزائدة
في صدر الكلام حرف خفض نحو مررت بزيد » (٢٠٠) . والتعبير بالباء الزائدة مرادا
بها حرف الجر ورد مثله عند ابن خالويه في قوله : « (ليسرى) جر باللام
الزائدة » (٢٠١) وفي قوله : « (الصخر بالواو) « الصخر » مفعول به ، (وبالواو)
جر بالياء الزائدة » (٢٠٢) ، كما استعمل ابن خالويه التعبير بياء الصفة أيضا (٢٠٣) .

وأستطيع أن أقول : أن « الصفة » ، و « الرفع بالصفة » من المصطلحات
القديمة ولم يتكرها الكوفيون بل هي تمثل مرحلة ما قبل استقرار المصطلح ونضجه
إنها تلك المصطلحات التي بدأت مع البصريين السابقين في الدرس النحوى وقد
تجمدت هذه المصطلحات في كتب الكوفيين بعدما هجرها البصريون ، ومن هنا
وسمت مصطلحات الكوفيين بالغرابة والدليل على أن مصطلح الصفة مصطلح
بصرى قديم قول الخليل في كتاب العين : « النصب خزانة النحو ، والبصرة خزانة
العرب أى معولهم عليه أكثر من سائر ، النصب في الحال ، والقطع والوقف

(١٩٨) الجمل : ٨٧

(١٩٩) السابق : ١٠٧

(٢٠٠) السابق : ٣١٥

(٢٠١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ٥٩

(٢٠٢) السابق : ٧٧ وانظر ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ .

(٢٠٣) السابق : ١٣٣ ، ١٧٧ .

وإضمار الصفات^(٢٤) والمراد بإضمار الصفات : إسقاط حرف الجر أو فقدان الخافض أى النصب على نزع الخافض ، فعبر عن الحروف الجارة أو الحروف الخافضة بالصفات .

ونخرج من دراستنا للمصطلح فى كتاب الجمل بأنها مصطلحات ضاربة فى القدم تعد أصولا للمصطلح البصرى والكوفى فهى تمثل مرحلة ما قبل استقرار المصطلح ، وقد برز ذلك فى مصطلح القطع ، والصرف ، والصفة ، والنصب على فقدان الخافض ، والخفض بالجوار وغير ذلك مما سبق بيانه ، وهى بما أطلقت عليه لاتناسب مطلع القرن الرابع الذى ينتمى إليه ابن شقير طرف التنازع المعلن فى نسبة الكتاب .

ويشهد لذلك أيضا ما بيناه من استعمال مصطلحات أو شبه مصطلحات لما يرتبط بالدلالة حيناً ، وما يرتبط بالتركيب حيناً آخر ، وتعدد المصطلحات بتعدد الجزئيات كالتمييز والتفسير ، والقطع والحال ، وخبر المعرفة إلى غير ذلك مما سبق تفصيله فى صفحات هذا الفصل .

وقد رأينا من المصطلحات بمفهومها الوارد فى كتاب الجمل ما تناوله الفراء بالنقد وقد كان الفراء على صلة بعلم البصريين وآرائهم .

ونصل أخيراً إلى أننا نرى فى تلك المصطلحات دليلاً قوياً على صحة نسبة كتاب الجمل للخليل بن أحمد إلى أن يظهر ما يثبت نقيض ذلك .

(٢٤) العين ٤ : ٢٠٩

الفصل الرابع

الشواهد والأمثلة

الاستشهاد بالقرآن الكريم

بلغت الشواهد القرآنية في كتاب الجمل ثلاثمائة وثمان وستين آية ، ورد منها في كتاب سيبويه ست ومائة آية أى أن الوارد منها في كتاب سيبويه يمثل ٢٨,٨٠٪ . وإذا تأملنا هذه الشواهد نجد أن المصنف كان حريصا على أن يذكر من القراءات ما في وسعه ، ولم يسبب قراءة لقارئ إلا في موضعين : الأول قوله : « وفي قراءة عائشة رضى الله عنها (إِنَّ هَذِينَ لَسَاحِرَانِ)^(١) » ، والآخر قوله : « وقد قرئ هذا الحرف ممدودا (آذَنَرْتَهُمْ)^(٢) ، قرأ عاصم وأبو عمرو بهمرتين^(٣) » ، ويعرض القراءات في المواضع الأخرى غفلا لا يذكر اسم القارئ ، كما نجد المصنف يبدأ بالقراءة المناسبة للاستشهاد ثم يشير إلى القراءات الأخرى ويوجهها ومن نماذج ذلك :

- ١ — يورد قوله تعالى : (يَاجِبَالُ أَوِىْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ)^(٤) ثم يقول : « وعلى هذا يقرأ من يقرأ (يَاجِبَالُ أَوِىْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ) على الرفع ومجازه ولتثوب الطير معه^(٥) »
- ٢ — يقول المصنف : « كما قرئ هذا الحرف في الأنعام (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ)^(٦) أى على الذى هو أحسن ، ومن قرأ (على الذى أَحْسَنَ) فإن محله الخفض^(٧) »
- ٣ — ويقول في النصب بفقدان الخافض : « ومثله (مَا هَذَا بَشَرًا)^(٨) أى يبشر . فلما أسقط الباء نصب وتميم ترفع ويقرءون (مَا هَذَا

(١) الجمل : ١٣٥ والآية رقم ٦٣ من سورة طه .

(٢) سورة البقرة آ : ٦

(٣) الجمل : ٢٣١

(٤) سورة سبأ آ : ١٠ وانظر الجمل : ٨٣

(٥) الجمل : ٨٤

(٦) سورة الأنعام آ : ١٥٤

(٧) الجمل : ٨٩ .

(٨) سورة يوسف آ : ٣١

- بشّر^(٩) ، فيجعلون هذا مبتدأ وبشر خبره^(١٠) .
- ٤ — ويقول : « وعلى هذا يقرءون في سورة البقرة (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)^(١١) بالرفع على معنى ابتداء وخبره ، ومن قرأ (ما بعوضة) جعل (ما) حشوا وصلته على معنى أن يضرب مثلاً بعوضة^(١٢) .
- ٥ — ويقول في النصب بالقسم عند سقوط الواو : ومن قرأ (تنزيل العزيز الرحيم)^(١٣) بالنصب أراد : تنزيل العزيز الرحيم على القسم فلما أسقط الواو منه نصب ومن رفع فالابتداء^(١٤) .
- ٦ — ويقول : « وكذلك قوله في سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربكم لتأتينكم ، عالم الغيب)^(١٥) أراد : وعالم الغيب . ويرفع على الابتداء^(١٦) .
- ٧ — « وقال عز وجل في سورة النساء : (إلا أن تكون تجارة)^(١٧) والمعنى إلا أن تقع تجارة . ومن قرأ : (تجارة) فالمعنى إلا أن تكون التجارة تجارة^(١٨) .

- ٩ — قرأ بالرفع ابن مسعود . انظر البحر المحيط ٥ : ٥٠٤ . ولم يخرج المحقق هذه القراءة .
- ١٠ — الحمل : ٩٣ ، ٩٤ .
- ١١ — سورة البقرة : ٢٦ ، وقرأ الجمهور بالنصب وقرأ بالرفع الضحاك وإبراهيم بن أبي عملة ورؤبة بن العجاج وقطرب . انظر البحر ١ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وقرأ ابن كثير في رواية شبل وابن محيصن ويعقوب يستحي بكسر الحاء وحذف الياء . انظر البحر ١ : ١٢١ . ولم يخرج المحقق هذه القراءة .
- ١٢ — الجمل : ٩٤ .
- ١٣ — سورة يس : ٥ .
- ١٤ — الجمل : ١٠٩ ، ١١٠ .
- ١٥ — سورة سبأ : ٣ . ولم أقف على القراءة بنصب عالم في البحر ولا في معاني القرآن للمراء ، ولا في المختص ، ولا في شواذ ابن خالويه ، ولا في النشر ولا في الانحاف ولا في إملاء مامن به الرحمن . ولم يخرجها المحقق .
- ١٦ — الحمل : ١١٠ .
- ١٧ — سورة النساء آ : ٢٩ . وقرأ عاصم نصب تجارة وحاصرة وقرأ القاقون بالرفع . النشر ٢ : ٢٣٧ .
- ١٨ — الحمل : ١٢٤ .

- ٨ — وقال : « قال الله عز وجل (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجهم من قريبتكم)^(١٩) و (جواب) ينصب ويرفع على ما فسرتك لك ، ومثله : (فكان عاقبتهما أنهما في النار)^(٢٠) ترفع عاقبتهما وتنصب »^(٢١) .
- ٩ — وقال : « قال الله عز وجل : (إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب)^(٢٢) وإن شئت نصبت والرفع أحسن » ولم ينص هنا على أن النصب قراءة . وهكذا كان يصنع سيبويه أحياناً ومن بعده الفراء .
- ١٠ — وقال : « ومثله في كتاب الله : (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً)^(٢٣) ، (يجعل) يرفع وينصب ويجزم »^(٢٤) .
- ١١ — وقال : « وزعموا أن قول الله تبارك وتعالى : (ألقيا في جهنم)^(٢٥) معناه ألقين للواحد بالنون »^(٢٦) .

ولانريد أن نستقصي نماذج تدل على تمكن المصنف من القراءات وإن لم يذكر من قرأها فكل الكتاب يشهد له بذلك .

وبجانب ماتقدم نلاحظ أن المصنف إذا أورد آية ولم يذكر فيها قراءة أخرى فغالباً ماتتفق هذه القراءة مع قراءة أبي عمرو بن العلاء شيخ قراء البصرة ولغويها . ونسوق نماذج على سبيل المثال لا الحصر .

-
- ١٩ — سورة الأعراف آ : ٨٢
- ٢٠ — سورة الحشر آ : ١٧
- ٢١ — الجمل : ١٢٧
- ٢٢ — سورة سبأ آ : ٤٨
- ٢٣ — سورة الفرقان آ : ١٠ قرأ الجمهور يجعل بالجزم ، وقرأ مجاهد وابن عامر وابن كثير وحيد وأبو بكر ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع ، وقرأ عبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب على إضمار أن . انظر البحر ٦ : ٤٨٤ ، والمختص ٢ : ١١٨ ولم يخرج المحقق هذه القراءة .
- ٢٤ — الجمل : ١٩٦
- ٢٥ — سورة آق آ : ٢٤
- ٢٦ — الجمل : ٢٣٩ . وروى أن الحسن قرأ ألقياً ننود التوكيد الخفيفة مختصر الشواذ لابن خالويه : ١٤٤ والمختص ٢ : ٢٨٤

- ١ — (وجاعلُ الليلِ سكنا والشمسَ والقمر حسبانا) ^(٢٧) . وقراءة « جاعل » بصيغة اسم الفاعل تتفق مع قراءة أبي عمرو فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي « جعل » والباقون « جاعل » ^(٢٨) والآية من شواهد سيويه بصيغة اسم الفاعل أيضاً ^(٢٩) .
- ٢ — (وعاداً وثموداً وأصحاب الرس) ^(٣٠) .
القراءة بتنوين (ثموداً) تتفق مع قراءة أبي عمرو بن العلاء ، فقد قرأ حفص وحمزة ويعقوب (ثمودَ) من غير تنوين وقرأ الباقر بالتنوين ^(٣١) . والآية من شواهد سيويه بالتنوين أيضاً ^(٣٢) .
- ٣ — (وكتبنا عليهم فيها أن النفس والعين بالعين) ^(٣٣) .
يورد المصنف هذه الآية ثم يقول : « ثم قرءوا (والجروح قصاص) ويقال إنه عطف على موضع إن لأن موضعها مبتدأ » ^(٣٤) .
والقراءة برفع الجروح ونصب النفس والعين تتفق مع قراءة أبي عمرو . يقول ابن الجزري : « واختلفوا في العين والأنف والأذن والسن والجروح فقرأ الكسائي بالرفع في الخمسة ووافقه في الجروح خاصة ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر ، وقرأ الباقر بالنصب » ^(٣٥) .
- ٤ — وقال المصنف : « وأما قوله تعالى في الأنبياء : (ونجيناه من الغم وكذلك نُجِيُ المؤمنين) فأدغم إحدى النونين في الأخرى » ^(٣٦) .
وهذه القراءة أي (نجى) تتفق مع ما روى عن أبي عمرو . قال ابن

-
- ٢٧ — سورة الأنعام آ : ٩٦ وانظر الجمل : ١٠٥
٢٨ — انظر إتحاف فضلاء البشر ٢ : ٢٣
٢٩ — انظر كتاب سيويه ١ : ١٧٤ هارون
٣٠ — سورة الفرقان آ : ٣٩ . وانظر الحمل : ١٠٦
٣١ — انظر الشر ٢ : ٢٩٠ وإتحاف ٢ : ٣٠٨
٣٢ — انظر كتاب سيويه ١ : ٨٩ هارون
٣٣ — سورة المائدة آ : ٤٥
٣٤ — الحمل ١٣٠
٣٥ — الشر ٢ : ٢٥٤
٣٦ — الحمل : ٢٠٩ . والآية رقم ٨٨ من سورة الأنبياء .

مجاهد : « روى عبيد عن أبي عمرو ، وعبيد عن هارون عن أبي عمرو :
نحى المؤمنين . كذلك قالوا مدغمة » (٣٧) .

٥ — وقال : ومنه قول الله تبارك وتعالى في الحج في حرف من قرأ (والمقيمى
الصلاة) أراد المقيمين الصلاة فكف النون ونصب الصلاة بإيقاع الفعل
عليها » (٣٨) .

والقراءة بحذف النون ونصب الصلاة هي قراءة أبي عمرو والحسن وابن
أبي إسحاق (٣٩) .

٦ — وقال : « قال الله تعالى : (ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا
بالبيت العتيق) ولام الأمر مكسورة أبدا إذا كانت في الابتداء ، فإن
تقدمها واو أو فاء كانت ساكنة » (٤٠) .

والقراءة بكسر لام الأمر بعد ثم هي قراءة أبي عمرو وورش وابن عامر
ورويس (٤١) وقد نص سيبويه على إسكان لام الأمر بعد الواو والفاء
فقط (٤٢) ، وجرى على ذلك المبرد في المقتضب وعد القراءة بسكون اللام
بعد ثم لحنا (٤٣) .

٧ — وقال : « وبعضهم يسكن الهاء إذا تقدمها واو كما تقرأ : (وهو الله في
السموات وفي الأرض يعلم سرهم وجهرهم) » (٤٤) .

والقراءة بإسكان الهاء تتفق مع قراءة أبي عمرو (٤٥) .

هكذا كانت عناية المصنف بالقراءات وتوجيهها في هذا الكتاب المختصر

٣٧ — السبعة لابن مجاهد : ٤٣٠

٣٨ — الجمل : ٢١٧ . والآية رقم ٣٥ من سورة الحج .

٣٩ — انظر البحر المحيط ٦ : ٣٦٩

٤٠ — الجمل : ٢٥٠ . والآية رقم ٢٩ من سورة الحج .

٤١ — انظر إتحاف فضلاء البشر ، ٢ : ٢٧٢

٤٢ — انظر كتاب سيبويه ٤ : ١٥١ ، ١٥٢

٤٣ — انظر المقتضب ٢ : ١٣٤

٤٤ — الجمل : ٢٦٧ ، والآية رقم ٣ من سورة الأنعام .

٤٥ — انظر إتحاف فضلاء البشر ١ : ٢٨٣ ، ٢٨٤

الجامع ، وهذه العناية تشعر بأن مصنفه كان ملما بالقراءات وتوجيهها نحويا بما يلائم تصويره الوارد في كتابه ، كما تشعر هذه العناية بسبقه في التصنيف النحوي ولتستوضح هذه الصورة سنتابع استشهاده بالقرآن الكريم في ضوء ما استشهد به سيبويه .

بتأمل معالجة المصنف للشواهد القرآنية نجدها تماثل معالجة سيبويه في كثير من المواضع بل قد تجد تشابها في العبارات ، وسنسوق بعضا من هذه النماذج بادئين بالشاهد ثم التعليق من الكتابين :

١ — (هذا مالدى عتيد)^(٤٦)

الجمل : « رفع عتيدا لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شيء عتيد عندي »^(٤٧) .

كتاب سيبويه : « فرفعه على وجهين : على شيء لدى عتيد ... »^(٤٨)
فكل منهما جعل مانكرة بمعنى شيء وعتيد صفة لما وهذا معنى قول صاحب الجمل « رفع عتيدا لأنه خبر نكرة » أى نعت ل (ما) التى قدرها بمعنى شيء . وهذا الوجه هو ما يريده سيبويه أيضا .

٢ — (قل بل ملة إبراهيم حنيفا)^(٤٩)

الجمل : « نصب ملة على إضمار كلام كأنه قال بل نتبع ملة إبراهيم »^(٥٠)
كتاب سيبويه : جاء في باب ما يضمن فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهى :

« ومن ذلك قوله عز وجل : (بل ملة إبراهيم حنيفا) أى بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا »^(٥١) .

٤٦ — سورة ق آ : ٢٣

٤٧ — الجمل : ٤٠

٤٨ — كتاب سيبويه ٢ : ١٦ هارون

٤٩ — سورة البقرة : ١٣٥

٥٠ — الجمل : ٦٩ ، ٧٠

٥١ — كتاب سيبويه ١ : ٢٥٧ هارون

٣ — (وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا)^(٥٢) .
 الجمل : أورد الآية في معرض حديثه عن كثرة الإضمار والحذف في الكلام وقال : وتقول : هذا ضارب زيد وعمراً . نصبت على ضمير فعل كأنك قلت وتضرب عمراً ثم يذكر الآية ويقول « نصب الشمس والقمر على معنى وجعل الشمس والقمر حسبانا »^(٥٣) .

كتاب سيويه : أورد الآية في معرض الحديث عن العطف على المضاف إلى اسم الفاعل وقال : « وتقول في هذا الباب : هذا ضارب زيد وعمرو وإن شئت نصبت على المعنى وتضمير له ناصبا فتقول : هذا ضارب زيد وعمراً كأنه قال وتضرب عمراً ... وكلما طال الكلام كان أقوى »^(٥٤) ثم أورد الآية الكريمة .

فكل من المصنفين يضمير فعلا ناصبا للشمس مع الاتفاق في المثال السابق على الآية .

٤ — (إن الذين آمنوا والذين هادوا الصابثون)^(٥٥) .
 الجمل : « رفع الصابثين على الابتداء ولم يعطف على ما قبله »^(٥٦) .
 كتاب سيويه : « وأما قوله عز وجل (الصابثون) فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتداء على قوله الصابثين بعد ماضى الخبر »^(٥٧) .

٥ — (ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ)^(٥٨) .

الجمل : « رفع بلاغا على معنى ولاتستعجل . ثم قال : لهم بلاغ . وقال بعضهم : رفع بلاغا على إضمار هذا بلاغ »^(٥٩) .

- ٥٢ — سورة الأنعام آ : ٩٦
- ٥٣ — الجمل : ١٠٥
- ٥٤ — كتاب سيويه ١ : ١٦٩ ثم ١٧٤ مارون
- ٥٥ — سورة المائدة آ : ٦٩
- ٥٦ — الجمل : ١٢٩
- ٥٧ — كتاب سيويه ٢ : ١٥٥
- ٥٨ — سورة الأحقاف آ : ٣٥
- ٥٩ — الجمل : ١٧١ وانظر ١٤٢ أيضا .

كتاب سيبويه : « هذا باب ما يكون المصدر فيه توكيدا لنفسه نصبا ... وقد يجوز الرفع فيما ذكرنا أجمع على أن يضم شيئا هو المظهر ... ومن ذلك قوله جل وعزّ : (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) كأنه قال ذاك بلاغ »^(٦٠) .

فمصنف كتاب الجمل ذكر وجهين لرفع بلاغ ، التقى مع سيبويه في الوجه الثاني وهو تقدير مبتدأ ، والتقدير هذا بلاغ .

أما التوجيه الأول الوارد في كتاب الجمل ففيه نظر لأنه جعل الوقف على فلا تستعجل و « لهم » ليست متعلقة بـ (تستعجل) إنما هي خبر مقدم وبلاغ مبتدأ مؤخر ، وقد علق أبو حيان على هذا التوجيه بقوله : قال أبو مجلز^(٦١) : بلاغ مبتدأ وخبره لهم ويقف على تستعجل . وهذا ليس بحيد لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض إذ ظاهر قوله (لهم) أنه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم ، ولحيلولة الجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدأ^(٦٢) .

فهل وقف سيبويه على هذا التوجيه وانصرف عنه لأنه لم يسلم به ؟
٦ — (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)^(٦٣) .

الجمل : « ثم ذرهم في خوضهم لاعين فصرف من النصب إلى الرفع ولولا ذلك لكان يلعبوا جزما على جواب الأمر »^(٦٤) .

كتاب سيبويه : « ذره يقل ذاك ، وذره يقول ذاك فالرفع من وجهين فأحدهما الابتداء والآخر على قولك : ذره قائلا ذاك ، فتجعل يقول في موضع قائل فمثل الجزم قوله عز وجل : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل ، ومثل الرفع قوله تعالى جده : ذرهم في خوفهم يلعبون »^(٦٥) .

٦٠ — كتاب سيبويه ١ : ٣٨٢

٦١ — أبو مجلز هولا حق بن حميد السلسي المصري تابعي . انظر القاموس : جاز وانظر غاية النهاية

٢ : ٣٦٢

٦٢ — البحر المحيط ٨ : ٦٩

٦٣ — سورة الأنعام آ : ٩١

٦٤ — الحمل : ١٤٢

٦٥ — الكتاب ٣ : ٩٨

فتقدير صاحب الجمل يلعبون بلاعبين يتفق مع قول سيبويه : « ذره قائلًا ذاك ، فتحمل يقول في موضع قائل » وهذا مايعنيه أيضا سيبويه في تقدير يلعبون .

٧ — (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا)^(٦٦) .

الجمل : « وقال بعضهم إلا في موضع الواو ، ومثله قول الله تعالى في يونس : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا) معناه فهلا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ، أى : وقوم يونس لما آمنوا . وإلا في موضع الواو . وإنما نصب قوم يونس لأن إلا بمعنى لكنّ قوم يونس لأن إلا تحقيق ولكن تحقيق »^(٦٧) .

كتاب سيبويه : « هذا باب ما لا يكون إلا على معنى « ولكنّ » وأورد الآية ثم قال : ولكنّ قوم يونس لما آمنوا »^(٦٨) .

فمصنف كتاب الجمل يعرض رأى من قال إن إلاّ في الآية بمعنى الواو ويرى أنها بمعنى لكنّ وهذا الرأى هو مااختاره سيبويه .

٨ — (رب لولا أخرجتنى إلى أجل قريب فأصدّق وأكنّ من الصالحين)^(٦٩) .

الجمل : « أى هلاّ أخرجتنى فأصدق ، نصب أصدّق لأنه جواب الاستفهام بالفاء ثم قال : « وأكنّ » فجزم على معنى هلاّ أخرجتنى وأكنّ كأنه جعله نسقا بالواو على جواب الاستفهام ولم يعبأ بعمل الفاء »^(٧٠) .

كتاب سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله (فأصدق وأكنّ من الصالحين) فقال ... فكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه تكلموا بالثانى وكأنهم جزموا قبله »^(٧١) .

٦٦ — سورة يونس ١ : ٩٨

٦٧ — الجمل : ١٥٥

٦٨ — كتاب سيبويه ٢ : ٣٢٥ هارون

٦٩ — سورة المنافقون ١ : ١٠

٧٠ — الجمل : ١٩٤

٧١ — كتاب سيبويه ٣ : ١٠٠ هارون

فما نسبه سيبويه للخليل في توجيه الجزم في قوله : « وأكن » قائم على توهم حذف الفاء من فأصدق وجزمه وعطف « أكن » عليه .
٩ — (ومن يفعل ذلك يلحق أثاماً يضاعف له العذاب)^(٧٣) .

الجملة : « جزم يضاعف على البذل »^(٧٣) .

كتاب سيبويه : « وسألته عن قوله جل وعز : (ومن يفعل ذلك يلحق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة) فقال هذا كالأول لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام »^(٧٤) .

١٠ — (فبم تبشرون)^(٧٥) .

الجملة : « بنون واحدة . وقال بعض العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد أسقطوا أحد الحرفين واكتفوا بواحد »^(٧٦) .

كتاب سيبويه : « بلعنا أن بعض القراء قرأ : (أتحاجوني)^(٧٧) ، وكان يقرأ : (فبم تبشرون) . وهي قراءة أهل المدينة . وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف »^(٧٨) .

فالإكتفاء بحرف واحد تساوى استثقال التضعيف .

١١ — (صبغة الله)^(٧٩) .

الجملة : « وأما نصب صبغة الله فعلى معنى فعل مضمرا طرح لعلم المخاطب بمعناه وهو الزموا صبغة الله . والصبغة الدين »^(٨٠) .

كتاب سيبويه : « فقال قوم صبغة الله منصوبة على الأمر ، وقال

٧٢ — سورة الفرقان آ : ٦٨ ، ٦٩

٧٣ — الجملة . ١٩٧

٧٤ — كتاب سيبويه ٣ : ٨٧ سبق عرض المقابلة بين الكتابين في الفصل الثاني ص ٣٣ — ٦٢

٧٥ — سورة الحجر آ : ٥٤

٧٦ — الجملة : ٢٠٩

٧٧ — سورة الأنعام آ : ٨٠

٧٨ — كتاب سيبويه ٣ : ٥١٩ هارون

٧٩ — سورة النقرة آ : ١٣٨

٨٠ — الجملة : ٦٩

بعضهم : لا بل توكيدا ، والصبغة الدين «^(٨١) .

فقد ذكر سيبويه توحيتين لنصب « صبغة » التوجيه الأول يتفق مع ما جاء في كتاب الجمل لأن مراد سيبويه بقوله مصبوبة على الأمر أى بفعل أمر محذوف ، وهذا مانص عليه صاحب الجمل . ويلفت النظر أيضا حرص كل من الرجلين على توضيح معنى الصبغة بعبارة واحدة هى : « والصبغة الدين » .

ونستطيع أن نقول إن الصلة بين كتاب الجمل وكتاب سيبويه غير خفية فيما عرضنا من معالجة بعض الآيات . ولكن الأمر لايتنى بالصلة بين كتاب الجمل وكتاب سيبويه فى هذا الأمر بل نجد الصلة أيضا قائمة بين كتاب الجمل ومعانى القرآن للفراء ويمكن أن نلمس ذلك بالموازنة بين النماذج الآتية : —
١ — (ماإن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة)^(٨٢) .

الجمل : « والنصب الذى فاعله ومفعوله فاعله ... ومثله : (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه : لتنوء العصبة بمفاتحه »^(٨٣) .
معانى القرآن للفراء : « وقد قال رجل من أهل العربية إن المعنى ماإن العصبة لتنوء بمفاتحه فحول الفعل إلى المفاتح »^(٨٤) .

فما نسبه الفراء إلى رجل من أهل العربية نجده مستقرا فى كتاب الجمل المنسوب للخليل فمن الذى كان يعنيه الفراء ؟ أكان يعنى الخليل ؟ أم كان يعنى أبا عبيدة ؟
٢ — (يا حسرؤ على العباد)^(٨٥)

الجمل : « والنصب من نداء النكرة الموصوفة . قولهم يارجلا فى

٨١ — كتاب سيبويه ١ : ٣٨٢

٨٢ — سورة القصص ١ : ٧٦

٨٣ — الجمل : ٥٠

٨٤ — معانى القرآن للفراء ٢ : ٣١٠

٨٥ — سورة يس ١ : ٣٠

* . انظر ص ١١٩

الدار وياغلاما ظريفا ... ونحوه قول الله تبارك وتعالى في يس : (يا حسرة على العباد)^(٨٦) .

معاني القرآن للفراء : « والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء وآثرت النصب يقولون :

يارجلا كريما أقبل ، وياراكبا على البعير أقبل^(٨٧)

وقد يطلق الكوفيون « الصلة » على « الصفة »^(٨٨) .

٣ — (فضرب الرقاب)^(٨٩)

الجميل : « النصب بالأمر . قولهم صبرا وحديثا ، أى اصبر وحدث قال الله عز وجل في سورة محمد ، فضرب الرقاب معناه فاضربوا الرقاب »^(٩٠)
معاني القرآن للفراء : فضرب الرقاب . نصب على الأمر^(٩١)

٤ — (يا جبال أوى معه والطير)^(٩٢)

الجميل : « نصب الطير لأن حرف النداء يقع عليه ، ولم يجز أن تقول : « يا الفضل » فنصبت على خلاف النداء »^(٩٣)

معاني القرآن : « والطير منصوبة على جهتين والوجه الآخر بالنداء لأنك إذا قلت ياعمرو والصلت أقبلنا نصبت الصلت لأنه إنما يدعى يأياها فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنصب »^(٩٤) .
فالنصب على خلاف النداء يساوى النصب للمعدول عن جهة

النداء .

- ٨٦ — الجميل : ٥٢
- ٨٧ — معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٧٥
- ٨٨ — انظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض : ٣٠٤
- ٨٩ — سورة محمد آ : ٤
- ٩٠ — الجميل : ٥٩
- ٩١ — معاني القرآن للفراء ٣ : ٥٧
- ٩٢ — سورة سبأ آ : ١٠
- ٩٣ — الجميل : ٨٣ ، ٨٤
- ٩٤ — معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٥٥

٥ — (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله)^(٩٥)
الجملة : « معناه ألا تعبدوا . فلما أسقط حرف الناصب رفع فقال
لا تعبدون »^(٩٦)

معاني القرآن : « رفعت تعبدون لأن دخول « أن » يصلح فيها فلما
حذف الناصب رفعت »^(٩٧)

٦ — (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)^(٩٨)
الجملة : « معناه والذين ظلموا منهم »^(٩٩) يريد أن « إلا » بمعنى الواو .

معاني القرآن : « وقال بعض النحويين إلا في هذا الموضع بمنزلة الواو
كأنه قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا للذين ظلموا . فهذا صواب
في التفسير خطأ في العربية ، إنما تكون « إلا بمنزلة » « الواو » إذا عطفتها
على الاستثناء قبلها فهناك تصير بمنزلة الواو »^(١٠٠) .

وهنا نجد الفراء يرفض رأى من قال إن « إلا » في الآية الكريمة بمعنى
الواو دون أن يعين واحدا منهم مكثفيا بقوله : وقال بعض النحويين .
والذى يعيننا هنا أن الرأى الوارد في كتاب الجمل كان سابقا على الفراء .

٧ — (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)^(١٠١)

الجملة : « معناه ثم ذرهم في خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى
الرفع »^(١٠٢)

معاني القرآن : « ولم يقل يلعبوا . فأما رفعه فأن تجعل (يلعبون) في
موضع نصب كأنك قلت في الكلام : ذرهم لاعبين »^(١٠٣)

٩٥ — سورة البقرة آ : ٨٣

٩٦ — الجمل : ١٤٠

٩٧ — معاني القرآن للفراء ١ : ٥٣

٩٨ — سورة البقرة آ : ١٥٠

٩٩ — الجمل ١٤٧

١٠٠ — معاني القرآن للفراء ١ : ٨٩

١٠١ — سورة الأنعام آ : ٩١

١٠٢ — الجمل : ١٤٢

١٠٣ — معاني القرآن ١ : ١٥٨

وهذا التقدير الذى ذكره الفراء توضيح لما جاء فى الجمل : « فصرف من النصب إلى الرفع » .

ويحسن أن نشير إلى ما نلمحه من ظلال لكتاب الجمل فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ت ٢٠٨ أو ٢٠٩ أو ٢١٠ أو ٢١١) ونحن بصدد الشواهد القرآنية فقد كان أبو عبيدة معاصرا للخليل وسيبويه والفراء ، وكتابه فى صدر كتب التراث .

١ — (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)^(١٠٤)

الجمل : يعلق المصنف على قول الفرزدق :

وعظَّ زمانٍ يا ابن مروان لم يدع من المال إلامسحت أومجلف

بقوله : ومن روى : مُسْحِتٌ وَمُجْلَفٌ بكسر الحاء واللام فى مجلف فإنه رفعه على الموالاة ، لأنه جعل « إلا » بمنزلة الواو ... ومنه قول الله جل وعز (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشون) معناه والذين ظلموا منهم . قال الشاعر : —
ما كان أسرع من تفرق فالج فلبوئه جربت معا وأغدت
إلا كنا شرة البذى ضيعتم كالغصن فى غلوائه المتنبت
ثم يقول : ومنه قول الأعشى :

إلا كخارجة المكلف نفسه وابنى قبيصة أن أغيب ويشهدا^(١٠٥)

مجاز القرآن : « يورد أبو عبيدة الآية ويعلق بقوله : « موضع إلا هاهنا ليس بموضع استثناء إنما هو موضع واو لموالاة ومجازها لئلا يكون للناس عليكم حجة وللذين ظلموا »^(١٠٦) ثم يذكر الأبيات الواردة فى كتاب الجمل مع تقديم بيت الأعشى .

ومما يلفت النظر اتفاق النصين فى التعبير بواو الموالاة ، وفى الاستشهاد بالأبيات نفسها . وسبق أن ذكرنا رأى الفراء فى مجىء إلا بمعنى الواو . ونسب ذلك لبعض النحويين دون أن يعينهم .

١٠٤ — سورة البقرة آ : ١٥٠

١٠٥ — الجمل : ١٤٦ ، ١٤٧

١٠٦ — محار القرآن لأبى عبيدة ١ : ٦٠

٢ — (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)^(١٠٧) .

الجميل : « النصب بالمشاركة ... ومنه وليس بعينه قولك ضربت زيدا ، وعمراً أكرمت أخاه ... قال الله جل ذكره في الأعراف (فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة) نصب « فريقا » الثاني على المشاركة وقال في « هل أتى » : (يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب الظالمين على هذا »^(١٠٨) .

مجاز القرآن : علق أبو عبيدة على الآية الأولى بقوله : « نصبهما جميعا على إعمال الفعل فيهما أى هدى فريقا ثم أشرك الآخر في نصب الأول ، وإن لم يدخل في معناه ، والعرب تدخل المشرك بنصب ما قبله على الجوار وإن لم يكن في معناه ، وفي آية أخرى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) »^(١٠٩) .

فكل من المصنفين يعرض للآيتين ويتناولان النصب بالمشاركة مع غرابة المصطلح ، ونلاحظ في كلام أى عبيدة إيضاح مفهوم المشاركة الذى لم يتضح من كلام مصنف كتاب الجمل . والأمر لا يعدو أن يكون مسألة من مسائل الاشتغال .

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه لم يستعمل مصطلح المشاركة بهذا المعنى كما لم يستعمل مصطلح الاشتغال ولكن استعمل مادته في قوله : فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت زيدَ ضريرته فلزمته الهاء ... وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا في المضمر ، وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشيء »^(١١٠)

٣ — (أتجعل فيها من يفسد فيها)^(١١١)

١٠٧ — سورة الأعراف ١ : ٢٠

١٠٨ — الحمل : ١٦

١٠٩ — مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٣

١١٠ — كتاب سيبويه ١ : ٨١ هارون .

١١١ — سورة البقرة آ : ٢٠

الجميل : « وأما ألف التحقيق والإيجاب ومنه قول الله تعالى ،
 تخييرا عن ملائكته حين قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها) معنهم فيها
 الإيجاب أى ستجعل ، والله جل وعز لا يستخير ، ومنه قول جرير :
 أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
 قوله أستم تحقيق أوجب عليهم فعلهم إنهم خير من ركب المطايا .
 فحقق وأوجب ولو كان استفهاما لم يكن مدحا ولكان قريبا من الهجاء ولم
 يعط جرير على هذا البيت مائة ناقة برعاتها ^(١١٣) .

مجاز القرآن : « (أتجعل فيها من يفسد فيها) جاءت على لفظ
 الاستفهام ، والملائكة لم تستفهم رها . وقد قال تبارك وتعالى : (إني
 جاعل في الأرض خليفة) ولكن معناه الإيجاب أى أنك ستفعل . وقال
 جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان :
 أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ^(١١٣)

وقال أبو عبيدة في موضع آخر معلقا على بيت جرير هذا : « ولم
 يستفهم . ، ولو كان استفهاما ماعطاه عبد الملك مائة من الإبل
 برعاتها ^(١١٤) .

والتقارب واضح بين ماجاء في كتاب الجمل وما جاء في إعجاز القرآن في
 التعليق على الآية : « معنهم فيها معنى الإيجاب أى ستجعل » ومعناه
 الإيجاب أى أنك ستفعل ، وفي الاستشهاد ببيت جرير ، وفي التعليق على
 البيت .

٤ — (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به
 الموتى) ^(١١٥)

١١٢ — الجمل : ٢٤٧ ، ٢٤٨

١١٣ — مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٥

١١٤ — مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٨٤

١١٥ — سورة الرعد آ : ٣١

الجميل : « والمضمر في الكلام كثير ... ومثله في الرد (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا) فكف الخبر وأضمر الجواب ، كأنه قال : لسارت الجبال ، وتقطعت الأرض وتكلمت الموتى ، فاكتفى بالأول عن الجواب المضمر في الكلام » (١١٦) .

مجاز القرآن : « مجازه مجاز المكفوف عن خبره ثم استؤنف فقال بل لله الأمر جميعا ، فمجازه لو سيرت به الجبال لسارت أو قطعت به الأرض لتقطعت ، ولو كلم به الموتى لنشرت ، والعرب تفعل ذلك لعلم المستمع به استغناء عنه واستخفافا في كلامهم » (١١٧) .

والتقارب بين النصين غنى عن البيان .

٥ — (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) (١١٨)

الجميل : « والنصب الذي فاعله مفعول ومفعوله فاعل ومثله : (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتنوء العصبة بمفاتحه » (١١٩) .

مجاز القرآن : من مجازه ما يحول فعل الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول قال : (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) والعصبة هي التي تنوء بالمفاتح » (١٢٠) .

وقال أبو عبيدة في موضع آخر : في القرآن (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) ما إن العصبة لتنوء بالمفاتح » (١٢١) .

وأرى الصلة بين مضمون العبارتين : « النصب الذي فاعله مفعول ومفعول فاعل » و « ما يحول فعل الفاعل إلى المفعول » وكذلك بين

١١٦ — الجمل : ١٠٢ ، ١٠٣

١١٧ — مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٣١

١١٨ — سورة القصص آ : ٧٦

١١٩ — الجمل : ٥٠

١٢٠ — مجاز القرآن ١ : ١٢

١٢١ — المرجع السابق ١ : ٦٤

العبارتين : « لتتوء العصبه بمفاته » و « إن العصبه لتتوء بالمفاتح » .
٦ — (والصابرين في البأساء والضراء)^(١٢٢)

الجميل : « ورعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح في
سورة النساء (والمقيمين الصلاة) و (الصابرين في البأساء والضراء) قال
الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معا قد الأزر

نصب النازلين والطيبين على المدح . ويرى بعضهم والطيبون . وينشد
على ثلاثة أوجه . ويقول : إذا طال كلام العرب بالرفع نصبوا ثم رجعوا إلى
الرفع »^(١٢٣) .

مجاز القرآن : « والموفون بعهدهم » رفعت على مولاة قوله : ولكن البر
من آمن بالله (... ثم أخرجوا) والصابرين في البأساء من الأسماء
المرفوعة . والعرب تفعل ذلك إذا كثرت الكلام سمعت من ينشد بيت خرق
بنت هفان من بنى سعد بن ضبيغة رهط الأعشى :

ألا يبعدون قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معا قد الأزر

فيخرجون البيت الثاني من الرفع إلى النصب »^(١٢٤)

وقال أبو عبيدة في موضع آخر : والعرب تخرج من الرفع إلى النصب
إذا كثرت الكلام ثم يعودون إلى الرفع قالت خرق .. »^(١٢٥) وأورد البيهقي
السابقين مع رفع (والطيبون) .

١٢٢ — سورة النقرة آ : ١٧٧

١٢٣ — الحمل ٦١ ، ٦٢

١٢٤ — محار القرآن ١ : ٦٥

١٢٥ — مرجع السابق ١ : ١٤٢ ، ١٤٣

والذى يعنينا من الموازنة بين ماجاء فى كتاب الجمل وماجاء فى كتاب مجاز القرآن أمران : الأول : الاتفاق فى أن العرب تخرج من الرفع إلى النصب ثم تعود إلى الرفع ، والثانى : اقتران توجيه النصب فى الآية الكريمة بأبيات خرنق . حقا هذا الارتباط موجود فى كتاب سيبويه لكن خروج من الرفع إلى النصب إذا طال الكلام وعودتهم إلى الرفع ثانية غير وارد مع أن الرواية فى كتاب سيبويه (والطيبون) بالرفع فى مواضع ثلاثة ويرفع (النازلون) فى موضع واحد منها^(١٢٦) .

وبعد بيان الصلة بين معالجة مصنف كتاب الجمل للشواهد القرآنية نحويا وبين من وصلت إلينا كتبهم من الرعيى الأول يعن لنا سؤال : أكان المصنف لاحقا لكل من سيبويه والفراء وأبى عبيدة فأخذ عنهم أم كان من السابقين هؤلاء وذاع علمه فأخذ عنه من أخذ ومن بينهم هؤلاء الأقطاب الثلاثة ؟

إن الأمر الذى نطمئن إليه هو أن مصنف الكتاب كان سابقا على هؤلاء فقد بدالنا الإمامه بالقراءات فى كل آية يوردها وتمكنه من توجيهها نحويا بما يتفق مع الصورة العامة التى قدمها فى كتابه وهذا الإلمام وتلك الإجابة ليسا ببعيدين على رجل مثل الخليل الذى سلكه ابن الجزرى فى طبقات القراء وهو حجة النحو الأول المائل فى كتاب سيبويه . كما بدت الصلة القوية بين معالجته للآيات ومعالجة سيبويه لما أورده منها وبخاصة ما سأل عنه الخليل بن أحمد ، وهذه الصلة تشير إلى تقدم مصنف كتاب الجمل على سيبويه . ويؤيد ذلك أيضا تعليق الفراء على توجيه بعض الآيات نحويا وهذه التوجيهات ماثلة فى كتاب الجمل كما بينا ، وفى ذلك دليل على ظهور هذه التوجيهات قبل الفراء وليس هناك ما يمنع أن يكون صاحبها هو الخليل وقد وردت فى الكتاب المنسوب إليه .

١٢٦ — انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٠٢ ، ٢ : ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤

أما الصلة التي نلمسها بين بعض ما جاء في كتاب الجمل وبعض ما جاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة فإننا نرى أن أبا عبيدة قد أفاد من علم الخليل بن أحمد ، فقد كان أبو عبيدة لغويا ومن أجمع الناس للعلم ، ومعاصرا للخليل بالبصرة وقد صنف كتاب مجاز القرآن بعد سنة ١٨٨ هـ^(١٣٧) أي بعد وفاة الخليل بثلاث عشرة سنة .

١٢٧ — استقدم المفضل بن الربيع أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد بعد سنة ١٨٨ وسأله ابراهيم بن اسماعيل ابن داهود الكاتب عن قوله تعالى (طلعتها كأنه رموس الشياطين) ففسر أبو عبيدة ما أراد . وعزم أبو عبيدة على أن يؤلف كتاب المحار ، ولما عاد إلى البصرة ألف كتابه المعروف بمجاز القرآن . انظر : ثمار القلوب : ٧٨ ، ونبذة الألباء : ١٠٧ ، ١٠٨ . ونبذة الوعاة ٢ : ٢٩٦

الاستشهاد بالحديث النبوي

لقد استشهد المصنف بحديث واحد وهو قول الرسول ﷺ : « لتأخذوا مصافكم »^(١٢٨) . وليس بغريب على الخليل أن يستشهد بحديث لرسول الله ﷺ ، فقد استشهد في الجزء الأول من كتاب العين بأربعة وعشرين حديثا ، لأنه وهو بصدد معاني المفردات أحوج إلى هذه المادة اللغوية . والحق أن الأحاديث النبوية لم تشغل النحويين في دراستهم لمسائل النحو ويدل على ذلك أن سيبويه لم يسأل شيخه الخليل عن توجيه نحوي لحديث من الأحاديث النبوية وإنما كان يسأله عن آية أو بيت من الشعر أو عن قول للعرب ولذلك جاءت الأحاديث في كتاب سيبويه تعد على أصابع اليد الواحدة .

فورود الحديث في كتاب ينسب للخليل لايقدر في نسبه إليه على زعم أن الاستشهاد بالحديث كان في وقت متأخر .

١٢٨ — انظر الجمل : ٢٥٠

الاستشهاد بالشعر

بلغت الشواهد من الشعر في هذا الكتاب أربعمائة وأربعة عشر بيتاً منها مائة وست وتسعون بيتاً واردة في كتاب سيبويه .

ونرى أنه من المفيد أن نوازن بين معالجة المصنف ومعالجة سيبويه للشواهد المشتركة في الكتابين . وقد سبق أن تناولنا طائفة من شواهد الشعر أثناء تناولنا لآراء الخليل الواردة في كتاب سيبويه ، فقد كان بعض هذه الآراء مرتبطاً بشواهد من الشعر ولذلك لن نحتاج إلى إعادتها هنا .

١ — جاء في كتاب الجمل : « والنصب من المصادر ... قولهم أنت سيرا سيراً وماهو إلا السير السير ، ومأنت إلا شرب الإبل ، وإلا ضرب الناس ، ولا تنوين في شرب لأنه لايتعدى إلى الإبل . قال الشاعر :
ألم تعلم مُسَرَّجِي القسوافي ؟ فلا عيابهن ولا اجتلاباً
أى فلا أعيابهن ولا أجتلب »^(١) .

قال سيبويه : هذا باب ماينتصب فيه المصدر ... وذلك قولك :
مأنت إلا سيراً ، وإلا سيراً سيراً ... ومن ذلك قولك : مأنت إلا شرب الإبل ، ومأنت إلا ضرب الناس وإلا ضربا الناس ، وأما شرب الإبل فلا ينون لأنك لم تشبهه بشرب الإبل ، وأن شرب الإبل ليس بفعل يقع منك على الإبل ... ثم يقول : ومثله قول الشاعر وهو جرير :
ألم تعلم مسرّجى القسوافى فلا عيابهن ولا اجتلاباً
كأنه نفى قوله : فعياهن واجتلاباً أى فأنا أعيابهن عيا ، وأجتلبهن اجتلاباً ولكنه نفى هذا حين قال : فلا »^(٢)

ونلاحظ طول العنوان في الكتابين ، وإن الأمثلة تكاد تكون واحدة بل فيها ماهو بنصه ، والتعليق على عدم تنوين شرب الإبل واحد في الكتابين

١ — الجمل : ١١٥ ، ١١٦

٢ — كتاب سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ هارون

أيضا ، كما نلاحظ الاتفاق في الشاهد والتعليق عليه ويمكن أن نقول : إن
ما جاء مختصرا في كتاب الجمل جاء مبسوطا في كتاب سيبويه .

٢ — جاء في كتاب الجمل : « والنصب بالاستفهام . قولهم : أقعودا والناس
قيام ؟ ... قال الشاعر :

أطربـــــــــــــــــا وأنت قنْسرِيَّ والدهـــــــــر بالإنسان دَوَّارِيَّ
أراد تطرب طربا . وقال الآخر :

أعبدا حل في شعبي غريبا ألؤما لأبالك واغترابا
أراد : تجمع لؤما واغترابا وقال الآخر :

أفي السولائم أولادا لواحدة وفي العيادة أولادا لعلات ؟

وقال سيبويه : « وأما ما ينتصب في الاستفهام من هذا الباب قولك
أقياما يا فلان والناس قعود وقال الراجز وهو العجاج :

أطربا وأنت قنْسرِيَّ

وإنما أراد أتعرب أي أنت في حال طرب ؟

وقال جرير :

أعبدا حل في شعبي غريبا ألؤما لأبالك واغترابا
يقول أتلؤم لؤما ، وأتعرب اغترابا^(٤)

ثم يعقد سيبويه بابا متضلا بما سبق بعنوان : باب ماجرى من الأسماء
التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل . ويورد فيه
قول الشاعر :

أفي السولائم أولادا لواحدة وفي العيادة أولادا لعلات^(٥)

ونلاحظ أن ما جاء في كتاب الجمل كأنه اختصار لما ورد في كتاب
سيبويه أو كأن ما جاء في كتاب سيبويه تفصيل لما أجمل في كتاب
الجمل . فالعنوان في الجمل عام شمل المصادر والمشتقات والأسماء الجامدة

٣ — الجمل : ٨٧

٤ — كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨ ، ٣٣٩ هارون .

٥ — المرجع السابق ١ : ٣٤٣ ، ٣٤٤

وشبه الجامدة التي تقع في إطار الاستفهام مثل أقعدوا ، أطربا ، ألؤما ،
واغترابا ، أقرشيا ، تيميا . أما سيبويه فقد جعل بابا للمصادر ، وثانيا
للأسم المأخوذ من الفعل ، وثالثا للأسم غير المأخوذ من الفعل .
والشواهد هي هي في الكتاين مع زيادة في كتاب سيبويه والأمثلة متقاربة
جدا تدرك بالملاحظة :

٣ — جاء في الجمل : « وقد يكون » كان « في معنى « جاء » و « خلق
الله » .. قال الشاعر :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب
أى إذا وقع . وأما قول عنتره :
بنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشعنا
فإنه أراد إذا كان اليوم يوما ذا كواكب ^(٦)

وقال سيبويه : « وقد يكون لكان موضع آخر يقتصر على الفاعل
فيه تقول قد كان عبد الله أى تُخلق عبد الله ، وقد كان الأمر أى وقع ...
فمما جاء على وقع قوله وهو مقاس العائذى :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب
أى إذا وقع . وقال الآخر ، عمرو بن شأس :
بنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشعنا
إذا كانت الحو الطوال كأنما كساها السلاح الأرجوان المضلعا
أضمر لعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم ^(٧)

ونلاحظ أن الكلام متشابه في الكتاين والشواهد هي هي والتعليق
عليها واحد وهو في كتاب الجمل أوضح منه في كتاب سيبويه .

٤ — جاء في كتاب الجمل تحت عنوان الرفع بالحمل على الموضع :
« كقول الشاعر :

ولما يجد إلا مناخ مطيعة تخاف بها زور نيل وكلكل

٦ — الجمل ١٢٣ .

٧ — كتاب سيبويه ١ . ٤٦ ، ٤٧ هارود .

وَمَفْخَصَهَا عَنْهَا الْحَصَا بِجَرَانِهَا وَمُتَشَى نَوَاجٍ لَمْ يَخْنَنَّ مَفْصِلُ
 وَسُمِّرَ ظَمَاءٌ ، وَاتَّرْتُهُنَّ بَعْدَمَا مَضَى هَجْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ذُبُلُ
 رَفَعَ سَمْرًا وَلَمْ يَنْسِقْهُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى .
 قَالَ الشَّاعِرُ :

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَةٍ عَلَى السَّبِيلِ إِلَّا رَوَاكِدُ جَرْمَنِ هَبَاءٍ
 وَشَجِجُ أَمَّا سَوَاءٌ قَذَالِهِ فَبَدَا وَغَيْرُ سَارَةِ الْمَغْزَاءِ
 فَرَفَعَ وَكَانَ حَدَهُ النَّصَبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ ... وَقَالَ الْآخَرُ :
 يَهْدِي الْخَمِيسَ نَجَادًا فِي مَطَالِعِهَا إِمَّا الْمِصَاعَ وَإِمَّا ضَرْبَةَ رُغْبٍ
 حَمَلَ الضَّرْبَةَ عَلَى الْمَعْنَى فَرَفَعَهَا وَلَمْ يَعْطِفْهَا عَلَى الْمِصَاعِ ^(٨)
 وَقَالَ سَيَبَوِيه : فِي مَعْرُضٍ حَدِيثُهُ عَمَّا يَحْمِلُ عَلَى الْمَعْنَى فِي الْإِعْرَابِ :
 « وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَهْدِي الْخَمِيسَ نَجَادًا فِي مَطَالِعِهَا إِمَّا الْمِصَاعَ وَإِمَّا ضَرْبَةَ رُغْبٍ
 حَمَلَهُ عَلَى شَيْءٍ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ الْأَوَّلُ لَمْ يَنْقُضِ الْمَعْنَى . وَمِثْلُهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ
 زَهِيرٍ :

فَلَمْ يَجِدَا إِلَّا مَنَاخَ مَطِيَّةٍ تَجَافَى بِهَا زَوْرٌ نَبِيلٌ وَكَلْكُلُ
 وَمَفْخَصَهَا عَنْهَا الْحَصَى بِجَرَانِهَا وَمُتَشَى نَوَاجٍ لَمْ يَخْنَنَّ مَفْصِلُ
 وَسُمِّرَ ظَمَاءٌ وَاتَّرْتُهُنَّ بَعْدَمَا مَضَتْ هَجْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ذُبُلُ
 كَأَنَّهُ قَالَ ثُمَّ سُمِّرَ ظَمَاءٌ . وَقَالَ :

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَةٍ مَعَ السَّبِيلِ إِلَّا رَوَاكِدُ جَرْمَنِ هَبَاءٍ
 وَمَشْجِجٌ أَمَّا سَوَاءٌ قَذَالِهِ فَبَدَا وَغَيْرُ سَارِهِ الْمَغْزَاءِ
 لِأَنَّ قَوْلَهُ « إِلَّا رَوَاكِدُ » هِيَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ : بِهَا رَوَاكِدُ ، فَحَمَلَهُ
 عَلَى شَيْءٍ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ الْأَوَّلُ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثَ ^(٩) .

وَنَلَا حِظَ أَنَّ مَوْضِعَ الْإِسْتِثْنَاءِ وَاحِدٌ وَهُوَ الرِّفْعُ حَمَلًا عَلَى الْمَوْضِعِ

٨ - الجمل : ١٤٤ - ١٤٨

٩ - كتاب سيبويه ١ : ١٧٢ - ١٧٤ .

والمعنى . والشواهد هي هي ، وقد نجد اختلافا في الرواية ولكن مواطن الاختلاف لا تفسد الاستشهاد إلا في قول الشاعر « إلا رواكد جمرهن هباء » . ففي كتاب الجمل برفع (رواكد) وجعلها موضع الشاهد . وفي كتاب سيويه جاء الضبط بنصيب (رواكد) وجعل الشاهد في رفع مشحج . وقال السيرافي : « الشاهد في رفع (مشحج) وترك عطفه على رواكد كأنه قال : وثم مشحج »^(١٠) . والرواية عند أبي جعفر النحاس برفع (رواكد) وقال :

« لم يقل : رواكد فينصب على الاستثناء ولكن رفع كأنه قال بها رواكد »^(١١) .

وعلى هذا يتفق أبو جعفر النحاس في روايته لبيت سيويه وبيان الشاهد فيه مع ما جاء في كتاب الجمل .

وأعتقد أن مثل هذا الخلاف لا يقدح في تأثر أحد المصنفين بالآخر .

٥ — جاء في الجمل : « وقال الأخطل أيضا :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها على مستقل بالنوائب والحرب
أخاها إذا كانت عضاضا سماها على كل حال من ذلول ومن صعب

نصب « أخاها » على المدح ، ولولا ذلك لخفضه على البدل من مستقل ، وإنما ينصب على المدح والذم والترحم والاختصاص على إضمار أعني »^(١٢) .

وقال سيويه : « وزعم عيسى أنه سمع ذا الرمة ينشد هذا البيت

نصبا :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها على مستقل للنوائب والحرب
أخاها إذا كانت عضاضا سماها على كل حال من ذلول ومن صعب

١٠ — شرح أبيات سيويه للسيرافي ١ : ٢٦٢

١١ — شرح أبيات سيويه لأبي جعفر النحاس ١٠٥

١٢ — الجمل ٦٢

زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من
تخاطب بأمر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ما علمت فجعله ثناء
وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال : أذكر أهل ذاك وأذكر المقيمين
ولكنه فعل لا يستعمل إظهاره ^(١٣) .

ونلاحظ أن المعنى متفق في الكتابين ، ومانسبه سيويه للخليل في توجيه
نصب أخاها هو ماورد في كتاب الجمل المنسوب للخليل فالثناء والتعظيم
هو المدح وبجانب ذلك نجد تطابقا كاملا بين معنى الفقرتين السابقتين
لهذين النصين في الكتابين ويمكن الرجوع إليهما .

٦ — جاء في الجمل : « فإذا قلت هو شر في الدار فجعلته اسما جاز
الرفع ...

ثم قال : قال الشاعر :

أما النهار ففى قيد وسلسلة والليل فى جوف منحوت من الساج
رفع الليل والنهار لأنه جعلهما اسما ولم يجعلهما ظرفا ^(١٤)
قال سيويه : « وقال الآخر :

أما النهار ففى قيد وسلسلة والليل فى قعر منحوت من الساج
كأنه جعل النهار فى قيد والليل فى بطن منحوت ، أو جعله الاسم أو
بعضه ^(١٥)

٨ — جاء في الجمل : « ولايفصل بين المضاف والمضاف إليه ...

وقد جاء في الشعر منفصلا قال عمرو بن قميئة :

لما رأت سائيد ما استعبرت لله در اليوم من لامها
أى لله در من لومها ففصل . وقال الآخر :

كما تُحطُّ الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو بعيد

أى بكف يهودى . قال الله تعالى : (زين لكثير من المشركين قتل

١٣ — كتاب سيويه ٢ : ٦٥

١٤ — الجمل ٤٣ ، ٤٤

١٥ — كتاب سيويه ١ : ١٦١ هارون

أولادهم شركائهم»^(١٦). فرق بين المضاف والمضاف إليه قال ذو الرمة :
 كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريج
 أراد : كأن أصوات أواخر الميس ، وقال الآخر :
 وقد زعموا أني جزعت عليها وهل جزع أن قلت وأبأهما
 هما أخوا في الحرب من لأخاله إذا خاف يوما نبوة فدعاهما
 يعني أخوا من لأخاله ففصل بين المضاف والمضاف إليه^(١٧) .

وقال سيويه : « وما جاء في الشعر قد فصل بينه وبين المجرور قول عمرو
 ابن قميئة :

لما رأت سائسد ما استعبرت لله در اليوم من لامها
 وقال أبو حية النميري :

كما حطّ الكتاب بكفّ يوما يهودى يقارب أو يزيل
 وقال ذو الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريج
 فهذا قبيح وقالت درنا بنت عبدة من قيس بن ثعلبة :
 هما أخوا في الحرب من لأخاله إذا خاف يوما نبوة فدعاهما^(١٨)

ونلاحظ أن مصنف كتاب الجمل يعلق على كل شاهد ، أما سيويه
 فيسوق الأبيات دون تعليق عليها مكتفيا بعبارته الأولى . والشواهد هي هي
 وينفس الترتيب . فهل سجل سيويه ماوعى من كلام شيخه ؟
 ٨ — جاء في الجمل : « فالنصب من المفعول . قولك أكرمت زيدا وأعطيت
 محمداً . وقد يضمرون في الفعل الهاء فيرفعون المفعول به كقولك زيد
 ضربت وعمر شتمت على معنى ضربته وشتمته فيرفع زيد بالابتداء ويوقع
 الفعل على المضمر كما قال الشاعر :

١٦ — سورة الأنعام ١٠١ . ١٣٧

١٧ — الحمل : ٧٨ ، ٧٩

١٨ — كتاب سيويه ١ : ١٧٨ ، ١٧٩ هارون

وخالِدٌ يَحْمَدُ أَصْحَابَهُ بالحق لا يحمَدُ بالباطل
 يعنى يحمده أصحابه . وقال الآخر :
 أبحث حمى تهامة بعد نجد وماشئء حميت بمستباح
 يعنى حميته ، وقال آخر :
 ثلاث كلهن قتلن عمدا فأخزى الله رابعة تعود
 يعنى قتلتهن . وقال الآخر :
 فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
 يعنى نساء فيه ، ونسر فيه ^(١٩)

وقال سيبويه : « ولا يحسن فى الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم ولا يذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الأعمال فى الأول ومن حال بناء الاسم عليه ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه ، ولكنه قد يجوز فى الشعر وهو ضعيف فى الكلام ... وقال التمر بن تولب :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
 وقال :

ثلاث كلهن قتلت عمدا فأخزى الله رابعة تعود
 فهذا ضعيف والوجه الأكثر الأعرف النصب ...
 وما جاء فى الشعر من ذلك قول جرير :
 أبحث حمى تهامة بعد نجد وماشئء حميت بمستباح ^(٢٠)

ونلاحظ أن الشواهد مشتركة ولكن عبارة سيبويه ملتوية وعبارة مصنف الجمل واضحة مختصرة كما أن سيبويه بين أن ذلك غير حسن فى الكلام وأنه فى الشعر ضعيف أيضا ، وفرق بين مايقع خيرا ، ومايقع صلة أو نعتا لأن الفعل عندما يكون خيرا يمكن أن يسلط على ما قبله فينصبه على

١٩ — الحمل : ٣٦ ، ٣٧

٢٠ — كتاب سيبويه ١ : ٨٥ — ٨٧ هارون .

المفعولية أما في الصلة والنعت فهو من تمام الاسم فلا يمكن نصب الاسم بالفعل الذي بعده لأنه من تمامه .

٩ — جاء في الجمل : « ما كان من النصب على الموضع لا على الاسم قولهم أزورك في اليوم أو غدا ، ولستم بالكرام ولا السادة قال عقبة الأسدى : معاوى إننا بشر فأسجج فلسنا بالجمال ولا الحديد نصب الحديد على موضع الجبال لأن موضعها النصب ... وقال كعب بن جعيل :

ألا حى ندمانى عمير بن عامر إذا ماتلاقينا من اليوم أو غدا
نصب (غدا) على الموضع لا على الاسم .
وقال لييد :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معد فلتزعك العواذل
نصب دون على الموضع لا على الاسم «^(٢١)

وقال سيويه : « هذا باب مايجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله .

وذلك قولك : ليس زيد بجبان ولا بخيلا ، ومازيد بأخيك ولاصاحبك ...
ومما جاء من الشعر على الإجراء على الموضع قول عقبة الأسدى :
معاوى إننا بشر فأسجج فلسنا بالجمال ولا الحديد
لأن الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يخل بالمعنى ولم يحتاج إليها كان نصبا ومن ذلك قول لييد :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معد فلتزعك العواذل
والحر الوجه . ومثل (ودون معد) قول الشاعر وهو كعب بن جعيل :
ألا حى ندمانى عمير بن عامر إذا ماتلاقينا من اليوم أو غدا^(٢٢)
فالأبيات الثلاثة مشتركة ومتتابعة في الكتاين كما رأينا .

٢١ — اعمل ٧٣ . ٧٤

٢٢ — كتاب سيويه ١ : ٦٦ — ٦٨

١٠ — جاء في الجمل : « والنصب بالقسم عند سقوط الواو والباء والتاء من أول القسم . تقول : الله لأفعل ذاك ، ويمين الله لا أزورك نصبت لأنك نزع حرف الجر كما تقول بحق لأزورك فإذا نزع الباء قلت حقا لأزورك ، قال الشاعر :

ألرب من قلبى له الله ناصح
ومن قلبه لى فى الظباء السوانح
.... وقال آخر :

إذا ما الخبز تأدمه بزيت فذاك أمانة الله الثريد
أراد وأمانة الله فلما نزع منه الواو نصب . قال امرؤ القيس :
فقلت يمين الله ما أنا بارح ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وبعضهم يضمرون حرف القسم ويجرون به فيقولون : الله لأزورك كما
يضمرون رب ويجرون به « (٢٣)

وقال سيويه : « واعلم أنك إذا حذف من المحلوف به حرف الجر نصبته كما تنصب حقا إذا قلت إنك ذاهب حقا ... وقال ذو الرمة :
ألا رب من قلبى له الله ناصح ومن قلبه لى فى الظباء السوانح
وقال الآخر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
.... وسمعا فصحاء العرب يقولون فى بيت امرئ القيس :
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى « (٢٤)

ونلاحظ أن المصنفين التقيا فى فكرة حذف حرف القسم ونصب ما بعده ، والتنظير بكلمة « حقا » و « بحق » ، والاتفاق فى الشواهد مع اختلاف الرواية فى البيت الثالث .

١١ — جاء فى الجمل تحت عنوان « والجزم بالمجازاة » (٢٥) عدة شواهد سنعرضها مع مقابلتها بكتاب سيويه فيما يلى :

٢٣ — الجمل : ١٠٧ ، ١٠٨

٢٤ — كتاب سيويه ٣ : ٤٩٧

٢٥ — الجمل : ١٩٤

أ — جاء في الجمل : « قال الشاعر :
متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
ومجازه : متى تأتينا ومتى تلمم بنا على البدل ، والإمام هو الإتيان » (٢٦)
وقال سيويه : « وسألت الخليل عن قوله :
متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
قال : تلمم بدل من الفعل الأول ونظيره في الأسماء : مررت برجل
عبد الله فأراد أن يفسر الإتيان بالإمام » (٢٧)

فالاتفاق في المضمون والشاهد واصطلاح البدل متحقق في الكتاين .
ب — جاء في الجمل : « وقال الخطيئة :
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد » (٢٨)
رفع تعشو لأنه أراد متى تأته عاشيا إلى ضوء ناره فصرفه من منصوب إلى
مرفوع » (٢٨) .

وقال سيويه : « هذا باب ما يرتفع بين جزمين وينجزم بينهما ، فأما
ما يرتفع بينهما فقولك : إن تأتني تسألني أعطك ... وما جاء أيضا مرتفعا
قول الخطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد » (٢٩)
ج — جاء في الجمل : وتقول إن تأتني آتيك ترفع لأنك تقدم وتؤخر تريد
آتيك إن تأتني قال الشاعر :

يا أقصرع بن حابس يا أقصرع إنك إن يصرع أخوك تصرع
يريد إنك تصرع إن يصرع أخوك . فقدم وأخر .

وقال سيويه : « ولا يحسن إن تأتني آتيك من قبل أن « إن » وقد
جاء في الشعر :

٢٦ — الجمل : ١٩٤

٢٧ — كتاب سيويه ٣ - ٨٦ ، وقد سبق ذكر البيت في الفصل الثاني انظر ص ٤٦

٢٨ — الجمل : ٩٨

٢٩ — كتاب سيويه ٣ : ٨٥ ، ٨٦

بأقصرع بن حابس بأقصرع إنك إن يصرع أخوك تصرع
أى إنك تصرع إن يصرع أخوك^(٣٠)

نلاحظ الاتفاق فى توجيه الرفع فى مثل هذا التركيب إلا أن سيبويه
قال : « لا يحسن » « وقد جاء فى الشعر » ... أما مصنف الجمل فأجازه
مطلقا أى أن أداة الشرط + مضارع مجزوم + مضارع مرفوع + يكون
مقبولا عند مصنف الجمل شعرا ونثرا أما عند سيبويه فلا يحسن فى النثر
وقد يرد فى الشعر .

د - جاء فى الجمل : « وتقول : من يأتنى آتیه : المعنى : الذى يأتينى
آتیه . فلا يجازى به . قال الفرزدق :

ومن يميلُ أُمال السيف ذُرْوَتَهُ حيث التقى من حِفافَى رأسه الشَّعْرُ
أى الذى يميلُ . وقال آخر :

فقل تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها
معناه لا يضيرها من يأتها^(٣١)

وقال سيبويه : « هذا باب الأسماء التى يجازى بها وتكون بمنزلة
الذى . وتلك الأسماء مَنْ ، وما ، وأيهم ، فإذا جعلتها بمنزلة الذى قلت :
ما تقول أقول ، فيصير تقول صلة لما حتى تكمل اسما . فكأنك قلت
الذى تقول أقول ... وقال الفرزدق :

ومن يميلُ أُمال السيف ذروته حيث التقى من حفافى رأسه الشَّعْرُ
..... وقد يجوز فى الشعر آتى من يأتنى . وقال الهذلى :

فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها
هكذا أنشدناه يونس كأنه قال : لا يضيرها من يأتها^(٣٢)

ونلاحظ أن الشاهد فى البيت الثانى عند مصنف الجمل لا يناسب
الشاهد فى البيت الأول فقد جاءت « من » فى البيت الأول بمعنى الذى

٣٠ - كتاب سيبويه ٣ : ٦٧ هارون

٣١ - الجمل : ١٩٨ ، ١٩٩

٣٢ - كتاب سيبويه ٣ : ٦٩ ، ٧٠

والأفعال بعدها مرفوعة ، أما البيت الثاني فليس كذلك . ولكن سيبويه
وضح الفرق بينهما في وجه الاستشهاد . وإن كان التعليق عليه مشتركا .
هـ — جاء في الجمل : « قال الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والسيىء بالسيىء عند الله مثلاًن
فأضمر الفاء بمعنى فالله يشكرها » (٣٣)

وقال سيبويه : « وسأله عن قوله : إن تأتني أنا كريم . فقال لا يكون
هذا إلا أن يضطر شاعر من قبل أن أنا كريم يكون كلاماً مبتدأ ، والفاء
وإذا لا يكونان إلا معلقين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم
يشبه الفاء . وقد قاله الشاعر مضطراً ، يشبه بما يتكلم به من الفعل ،
قال حسان بن ثابت :

ومن يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاًن » (٣٤)

ونلاحظ الاتفاق في المعنى مع اختلاف في رواية البيت في غير موضع
الشاهد ومصنف الجمل لا يذكر أن ذلك ضرورة .

و — جاء في الجمل : « وتقول : إن أتاه صاحبه يقول له . رفع
« يقول » على معنى قال من ماض إلى مستقبل ، فرفع ، قال زهير بن أبي
سلمى :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم
معناه : قال فصرف من منصوب إلى مرفوع » (٣٥)

قال سيبويه : « وتقول : إن أتيتني آتيك أى آتيك إن أتيتني قال
زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حصرم » (٣٦)

نلاحظ أن تفسير مصنف كتاب الجمل يختلف عن تفسير سيبويه

| | |
|------|-------------------------|
| ٣٣ — | الجمل : ٢٠١ |
| ٣٤ — | كتاب سيبويه ٣ : ٦٤ ، ٦٥ |
| ٣٥ — | الجمل : ٢٠٢ |
| ٣٦ — | كتاب سيبويه ٣ : ٦٦ |

فالأول رأى أن الفعل المضارع هنا بمعنى الماضي فلما عدل عن الماضي إلى المضارع رفع المضارع ، أما سيبويه فقد فسره على التقديم والتأخير أى قدر تقديم المضارع على أداة الشرط . وقد فسره المبرد على إرادة الفاء^(٣٧)

١٢ — جاء فى الجمل : « قال الشاعر :

أصبحت لأحمل السلاح ولا أملك رأسى البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا
نصب الذئب على أن أضمر « أخشى » الذئب ليكون الفعل عاملا كما كان أولا^(٣٨)

وقال سيبويه : هذا باب ما يختار فيه إعمال الفعل مما يكون فى المبتدأ مبنيًا عليه الفعل . وذلك قولك : رأيت زيدا وعمرا كلمته ، ورأيت عبد الله وزيدا مررت به ومثل ذلك قوله عز وجل : (يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما)^(٣٩) وقوله عز وجل : (وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال)^(٤٠) ومثله : (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)^(٤١) وهذا فى القرآن كثير وقال الشاعر وهو الربيع بن ضبع الفزارى :
أصبحت لأحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إذ نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا^(٤٢)

ونلاحظ فى الكتاين مايلي :

١ — عرض صاحب الجمل هذين البيتين تحت عنوان « النصيب بالمشاركة »^(٤٣)

وهو يعنى بالمشاركة أن يكون كل من الفاعل والمفعول به يحدث الفعل فى

٣٧ — انظر المقتضب للمبرد ٢ : ٧٠

٣٨ — الجمل : ١٠٧

٣٩ — سورة الدمر آ : ٣١

٤٠ — سورة الفرقان آ : ٣٩ ، ٤٠

٤١ — سورة الأعراف آ : ٣٠

٤٢ — كتاب سيبويه ١ : ٨٨ — ٩٠ هارون

٤٣ — الجمل : ١٠٥

الآخر وساق لذلك قول الشاعر :

قد سالم الحياتُ منه القديمُ الأفعوانُ والشجاع والشحما
ثم قال : ومنه وليس يعينه قولك : ضربت زيدا وعمراً أكرمت أخاه .
وساق الآيات التي أوردها سيبويه في النص الذي سقناه له .

٢ — اتفق المصنفان في الاستشهاد بالآيات الثلاث مع اختلافهما في ترتيبها
وقال صاحب الجمل تعليقا على الآيات^(٤٤) : « نصب فريقا الثاني على
المشاركة » ، و « نصب كلا بالمشاركة » ... و « نصب الظالمين على
هذا » .

٣ — الاتفاق في بعض الأمثلة على النحو الآتي :

الجمل : كنت أخاك وزيدا أعتكك عليه .
الكتاب : لست أخاك وزيدا أعتكك عليه .
الجمل : وكنت بمنزلة ضربت وسائر الفعل .
الكتاب : لأن كنت أخاك بمنزلة ضربت أخاك .

١٣ — جاء في الجمل : « والهاء التي تقع على المذكر والمؤنث . كقول
الشاعر :

★ فطافت ثلاثا ، بين يوم وليلة ★

قال ثلاثا ولم يقل ثلاثة ، وقد ذكر الأيام ، وإنما قال ثلاثا على
الليالي ، لأن الأيام داخلة في الليالي لكثرة استعمالهم الليالي ، ألا ترى
أنهم يكتبون في كتبهم بقين ، ومضين ، وصمنا عشرا من الشهر يعني
الليالي .

وأما قول الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر
البطن مذكر ، وإنما عنى القبائل . وأما قول الآخر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالي
قال ثلاثة أنفس لأنه أراد : ثلاثة أشخاص ، وشخص الرجل نفسه .

٤٤ — الجمل : ١٦

قال الشاعر :

فكان مجننى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
قال ثلاث شخوص فأنت ، والشخص مذكر ^(٤٥)

وقال سيبويه : « هذا باب المذكر الذى يقع على المذكر والمؤنث وأصله التأنيث ... وتقول سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ، لأنك ألقيت الاسم على الليالى ثم بينت فقلت : من بين يوم وليلة . ألا ترى أنك تقول : لخمس بقين أو خلون ، ويعلم المخاطب أن الأيام قد دخلت فى الليالى ...

وقال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة يكون النكير أن تضيف وتجأرا
..... وزعم يونس عن رؤية أنه قال : ثلاث أنفس ، على تأنيث
النفس كما قال ثلاث أعين للعين من الناس ، وكما قالوا ثلاث أشخاص فى
النساء . وقال الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر
وقال القتال الكلابي :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث وأكثر
فأنت أبطنا إذ كان معناها القبائل . وقال الحطيئة :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالى
وقال عمر بن أبى ربيعة :

فكان نصيرى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فأنت الشخص إذ كان فى معنى أنثى ^(٤٦)

نلاحظ أن وجه الشبه قوى بين العنوانين ، وعبارة « ألا ترى » وقول
مصنف كتاب الجمل : « ألا ترى أنهم يكتبون فى كتبهم » فيعتمد على
ما يكتبه المصنفون أو كتاب الرسائل . أما سيبويه فيعتمد على المؤلف

٢٥ — الجمل : ٢٧٠ ، ٢٧١

٤٦ — كتاب سيبويه ٣ : ٥٦١ — ٥٦٦

من الاستعمال فيقول : « ألا ترى أنك تقول » .

كما نلاحظ أن الشواهد الشعرية هي هي وسيقت بنفس الترتيب في
الكتابين وزاد سيويه شاهدا .

والموازنة بين هذين النصين تثبت صلة ما بين الكتابين ، وكأن ما في
كتاب الجمل كان من بين ما تلقاه سيويه من شيخه الخليل بن أحمد .
أو كأن أحدا انتزع من كتاب سيويه ما يريد .

١٤ — جاء في الجمل : « والنصب بالبدل ... ومنه تقول : رأيت زيدا أخاه
قائما نصبت زيدا به » رأيت » ، ونصبت أخاه بالبدل ، ولو رفعته على
الابتداء كان جائزا . ومثله قول الشاعر وهو ذو الرمة :
تري خلقها نصفاً قنساءً قويمةً ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمرُ
نصب نصفاً على البدل (٤٧) .

وقال سيويه : « وقال الآخر وهو ذو الرمة :
تري خلقها نصف قنساء قويمة ونصف نقا يرتج أو يتمرمرُ
وبعضهم ينصبه على البدل » (٤٨) .

نلاحظ أن مصنف كتاب الجمل استشهد برواية النصب على البدل
أما سيويه فقد استشهد برواية الرفع على القطع والابتداء . وأجاز
النصب على البدل . فمن كان يعنيه سيويه بقوله : وبعضهم ينصبه
على البدل ؟ أكان يعنى الخليل بن أحمد ؟ أم كان يعنى الرواة ، ثم وجه
رواية النصب ؟

١٥ — جاء في الجمل : « وربما جعلوا النكرة اسما والمعرفة خبرا فيقولون : كان
رجل عمراً إلا أن النكرة أشد تمكنا من المعرفة لأن أصل الأشياء نكرة ،
ويدخل عليها التعريف . والوجه أن تجعل المعرفة اسما والنكرة خبرا قال
القطامي :

قفى قبل التفريق يا ضبا عبا ولايك موقف منك الوداعا

٤٧ — الجمل : ١٠٠ ، ١٠١

٤٨ — كتاب سيويه ٢ : ١١

وقال آخر :

فإنك لا تبالي بعد حول أظبي كان أمك أم حمار
وقال آخر :

ألا من مبلغ حسان عني أظب كان ذلك أم جنون ؟
وقال آخر :

كأن سلافة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
وقال الفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا تيمما بجوف الشام أم متساكر
جعل المعرفة خيرا والنكرة اسما^(٤٩)

وقال سيويه : « واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة
فالذى تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام لأنهما شيء واحد ...
وقد يجوز في الشعر وفي ضعف من الكلام ... »^(٥٠) ثم ذكر الأبيات
الأربعة الأخيرة الواردة في النص السابق من كتاب الجمل .

وأعتقد أن سوق الأبيات بنفس الترتيب يشعر بأن الصلة المباشرة بين
الكتابين قائمة الحفظ أو النقل .

١٦ — جاء في الجمل : « وأما قول الآخر :

تذكرت أرضا بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها
أي تذكرت أخوالها وأعمامها . وقال الآخر :

إذ تغنى الحمام الورق هيجنى ولو تعزيت عنها أم عمار
نصب أم عمار على معنى هيجنى فذكرت أم عمار .

وتقول : هذا ضارب زيد وعمراً . نصبت على ضمير فعل كأنك قلت :
وضرب عمراً ، ومثله قول الشاعر :

جئني بمثل بنى بدر وإخوتهم أو مثل أسرة منظور بن سيار
كأنه قال : أو هات مثل أسرة منظور^(٥١)

٤٩ — الحمل : ١٢٠ — ١٢٢

٥٠ — كتاب سيويه : ١ : ٤٧ ، ٤٨ هارون

٥١ — الحمل : ١٠٤

وقال سيبويه : « ومثل ذلك قول ابن قميثة
تذكرت أرضاً بها أهلها أحوالها فيها وأعمامها
لأن الأهل والأعمام قد دخلوا في التذكر .

ومثل ذلك فيما رعم الخليل :
إذا تغنى الحمام الورق هيبنى ولو تعزيت عنها أم عمار
قال الخليل رحمه الله : لما هيبنى عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكره الحمام
وتهيجه ، فألقى ذلك الذى قد عرف منه على أم عمار ، كأنه قال هيبنى
فذكرنى أم عمار » (٥٢)

وقال سيبويه فى موضع آخر : « وتقول فى هذا الباب : هذا ضارب
زيد وعمرو ، إذا أشركت بين الآخر والأول فى الجار ... وإن شئت
نصبت على المعنى وتضمير له ناصباً فتقول : هذا ضارب زيد وعمراً ،
كأنه قال : ويضرب عمراً أو وضارب عمراً ، ومما جاء على المعنى قول
جرير :

جئنى بمثل بنى بدر لقومهم ... أو مثل أسرة منظور بن سيار

فحملة على المعنى كأنه قال ... وقال هات مثل أسرة منظور بن

سيار » (٥٣)

ونلاحظ مايلى :

- ١ — الفكرة العامة فى حذف عامل النصب وهو هاهنا فعل .
- ٢ — الاتفاق فى الشواهد الشعرية مع كثرتها وزيادتها عند سيبويه ولم نذكرها
هنا اختصاراً .
- ٣ — مطابقة مانسبه سيبويه للخليل لما جاء فى كتاب الجمل
- ٤ — الاتفاق فى التعليق على الشواهد مثل :
أ — فى الجمل : « أى تذكرت أحوالها وأعمامها » .

٥٢ — كتاب سيبويه ١ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ هارون

٥٣ — كتاب سيبويه ١ . ١٦٩ ، ١٧٠ هارون

في الكتاب : « لأن الأهل والأعمام قد دخلوا في التذكر » .
 ب — في الجمل : « نصبت أم عمار على معنى هيبنى فذكرت أم عمار »
 في الكتاب : « كأنه قال هيبنى فذكرني أم عمار » .
 ج — في الجمل : « وتقول هذا ضارب زيد وعمرا ، نصبت على ضمير
 كأنك قلت وضرب عمرا » .
 في الكتاب : « هذا ضارب زيد وعمرا كأنه قال : ويضرب عمراً » .
 د — في الجمل : « كأنه قال : هات مثل أسرة منظور » .
 في الكتاب : « وكأنه قال ... وقال : هات مثل أسرة منظور بن
 سيار » .

١٧ — جاء في الجمل : « النصب من نداء النكرة الموصوفة . قولهم : يارجلا
 في الدار وياغلاما ظريفا نصبت لأنك ناديت من لم تعرفه وقال
 الشاعر :

فياراكبا إما عرضت فبلغنْ نداماي من نجران أن لاتلاقيا
 وقال آخر :

أدارا بحزوى هجت للعين عبوة فمساء الهوى يرفض أوترقرق
 وأما قول الآخر :

سلامُ الله يامطرُ ——— عليها وليس عليك يامطرُ السلام
 فإنه تون مطرا اضطرارا ويروى بالنصب منونا^(٥٤)

وقال سيويه : « وقال الخليل رحمه الله : إذا أردت النكرة فوصفت
 أو لم تصف فهذه منصوبة وقال ذو الرمة :

أدارا بحزوى هجت للعين عبوة فمساء الهوى يرفض أوترقرق
 وقال عبد يغوث :

فياراكبا إما عرضت فبلغنْ نداماي من نجران أن لاتلاقيا
 وأما قول الأحوص :

سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطر السلام
فإنما لحقه التنوين كما لحق مالا ينصرف هذا بمنزلة مرفوع لا
ينصرف يلحقه التنوين اضطرارا ... وكان عيسى بن عمر يقول
« يامطراً »^(٥٥)

والصلة بين النصين قوية واضحة .

هكذا نجد الوشائج قوية بين الكتابين وفي النماذج التي عرضناها برز الاتفاق في
وجه الاستشهاد ، والتعليق ، والتوجيه وبعض العبارات ، والأمثلة المحيطة بالشاهد
مما يجعلنا نطمئن إلى ماخرجنا به من الفصول السابقة ، فإن روح ونص كتاب
الجميل المنسوب للخليل كانا مختزين في ذاكرة سيويه اختزان التلميذ لعلم
شيخه ، ولو أضفنا إلى الصلة بين الشواهد ماسبق ذكره في الفصل الثاني من آراء
الخليل المنسوبة إليه في كتاب سيويه وصددها في كتاب الجمل لازدادت الرؤية
وضوحا .

الأمثلة والعبارات :

بتأملنا عبارات المصنف والأمثلة التي يسوقها في ضوء عبارات سيبويه وأمثله وجدنا الصلة قوية لاتقل عن الصلة التي لمسناها في الفصول السابقة فمن الأمثلة المشتركة بين الكتاين مايلي :

- ١ — أتمميا مرة وقيسيا أخرى ؟
- ٢ — إذا لم تكنهم فمن ذا يكونهم
- ٣ — الأسد الأسد
- ٤ — أما صديقاً مصافياً فليس بصديق
- ٥ — أنت سيرا سيرا
- ٦ — إنها لإبل أم شاء
- ٧ — بك زيدا مأخوذ
- ٨ — جعيش وحده
- ٩ — رأسك والحائط
- ١٠ — سيوحا قدوسا
- ١١ — غفرانك لا كفرانك
- ١٢ — كرما وصلفا
- ١٣ —
- « كنت أخاك وزيدا أعنتك عليه »
- ١٤ — ما أنت إلا شرب الإبل وإلا ضرب الناس
- ١٥ — مررت به وحده
- في الجمل : ٨٨ ، والكتاب ١ : ٣٤٣
- في الجمل : ١٢٠ ، والكتاب ١ : ٤٦
- في الجمل : ٥٥ ، والكتاب ١ : ٢٥٣
- في الجمل : ٣٧ ، والكتاب ١ : ٣٨٧
- في الجمل : ١١٦ وفي الكتاب « زيد سيرا سيرا » ١٠ : ٣٣٥
- في الجمل : ٣٢٠ ، الكتاب ٣ : ١٧٢
- في الجمل : ١٣٩ ، الكتاب « إن بك زيدا مأخوذ » ٢ : ١٣٢
- في الجمل : ١١٥ ، الكتاب ١ : ٣٧٧
- في الجمل : ٥٥ ، الكتاب ١ : ٣٧٤
- في الجمل : ١٠٩ ، الكتاب ١ : ٣٢٧
- في الجمل : ٦٠ ، الكتاب ١ : ٣٢٥
- في الجمل : ١٠٩ ، الكتاب ١ : ٣٢٨
- في الجمل : ١٠٦ وفي كتاب سيبويه « لست أخاك وزيدا أعنتك عليه » ١ : ٨٩
- في الجمل : ١١٦ ، والكتاب ١ : ٣٣٦
- في الجمل : ١١٤ ، والكتاب ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧

- ١٦ — ماز رأسك والسيف
 ١٧ — ماكل سوداء تمرة ولا كل
 بيضاء شحمة
 ١٨ — مالى إلا أباك صديق
 ١٩ — هذا تمرأطيب منه بسرأ
 ٢٠ — هذا حجر ضب خرب
 ٢١ — هذا رجل معه صقر صائداه
 ٢٢ — هذا واقفا رجل
 ٢٣ — هو منى فرسخان
 ٢٤ — هو منى مزجر الكلب
 ٢٥ — هو نسيج وحده
 الجمل : ١٧١ والكتاب ١ : ٢٧٥
 الجمل : ٣٠٥ ، والكتاب ١ : ٦٥
 الجمل : ٢٩٨ والكتاب ٢ : ٣٣٥
 الجمل : ١١٣ والكتاب ١ : ٤٠٠
 الجمل : ١٧٥ . والكتاب ١ : ٦٧
 الجمل : ١٧١ . والكتاب ٢ : ٤٩
 الجمل : ٧٥ والكتاب « هذا قائما رجل »
 ٢ : ١٢٣
 الجمل : ٤٤ . والكتاب ١ : ٤١٣ ، ٤١٦
 الجمل : ٤٤ والكتاب ١ : ٤١٣ ، ٤١٦
 الجمل : ١١٥ . والكتاب : ١ : ٣٧٧

ومما هو جدير بالذكر أن المصنف ذكر مثالا يرد كثيرا في كتب النحو وهو :
« أكلت السمكة حتى رأسها »^(١) وهذا المثال ليس من أمثلة سيبويه . وقد
تابعت ورود هذا المثال في كتب النحو فرجعت به إلى المقتضب للمبرد^(٢) ولم أجد
أحداً ذكره قبله فيما بين يدي من مراجع ، وهذا لايعنى أن المبرد هو أول من مثل
به ، فقد يكون أقدم من ذلك ، بل قد يكون قبل سيبويه فعدم وجوده في كتاب
سيبويه لايعنى أنه لم يستعمل إلا بعده فكم من أمثلة ذكرت في حلقات الدرس لم
تحملها المصنفات التي وصلت إلينا . فورود هذا المثال في كتاب منسوب للخليل
لايقدح في نسبة الكتاب إليه .

حقا هذه الأمثلة التي سقناها نجدها شائعة في كتب النحو ، أما الاتفاق في
العبارات التي تكون من أساليب المصنفين فإنه في نظرنا مقنع بالصلة القوية بين
المصنّفَيْن ونسوق من ذلك على سبيل المثال لا الحصر النماذج الآتية :

١ — جاء في الجمل : « إنما صار الحال نصبا لأن الفعل يقع فيه تقول :
قدمت راكبا ، وانطلقت ماشيا ، وتكلمت قائما ، وليس بمفعول في مثل
قولك لبست الثوب ، لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل »^(٣) .

وقال سيبويه : « هذا باب مايعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع
فيه الفعل ، وليس بمفعول كالثوب في قولك كسوت الثوب وفي قولك
كسوت زيدا الثوب لأن الثوب ليس بحال وقع فيها الفعل »^(٤) .

ولنتأمل الاتفاق في : « الحال نصب لأن الفعل يقع فيه وليس
بمفعول » « لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل » بجانب التفرقة بين الحال
والمفعول به .

٢ — جاء في الجمل : « وتقول عمرَ الله وعمرَكَ الله ... ومثله قَعَدَكَ الله
على معنى نشدتك الله ، ولافعل لقعدك ، وأما عمرَكَ الله فعلى معنى
عمرَّتكَ الله »^(٥) .

٤ — كتاب سيبويه ١ : ٤٤

٥ — الجمل : ١٠٨

١ — الجمل : ١٨٤

٢ — المقتضب ٢ : ٣٨

٣ — الجمل : ٤١

وقال سيويو : « وكأنه حيث قال : عمرَكَ الله وقَعَدَكَ الله قال :
عَمَّرْتُكَ الله بمنزلة نشدتك الله فصار عمرَكَ الله منصوبة بعَمَّرَكَ الله ...
فقَعَدَكَ الله يجرى هذا المجرى وإن لم يكن له فعل وكأن قوله عمرَكَ الله
وقَعَدَكَ الله بمنزلة نشدتك الله وإن لم يتكلم بنشدك الله . ولكن زعم
الخليل أن هذا تمثيل يمثل به »^(٦) .

واتفاق الفقرتين واضح في « فعلى معنى عَمَّرْتُكَ الله » و « كأنه حيث
قال عمرَكَ الله ... قال : عمرَكَ الله » وكذلك في : « ولافعل لقَعَدَكَ » و
« فقَعَدَكَ الله يجرى هذا المجرى وإن لم يكن فعل » وأن « على معنى
نشدتك الله » و « فعلى معنى عَمَّرْتُكَ الله » يؤيدان معنى قول سيويو
« بمنزلة نشدكَ الله وإن لم يتكلم بنشدكَ الله ولكن زعم الخليل رحمه الله
أن هذا تمثيل يمثل به » .

٣ — جاء في الجمل : وسبحان الله بدل من التسبيح ، وريحانه : استرزاقه ،
ومَعَاذَ الله على معنى عياذا بالله^(٧)

وقال سيويو : « وذلك قولك : سبَحان الله ، وَمَعَاذَ الله وريحانه
كأنه حيث قال سبَحان الله قال تسبيحا ، وحيث قال ريحانه قال :
استرزاقا وكأنه حيث قال : معاذ الله قال : عياذا بالله »^(٨) .

٤ — جاء في الجمل : « فأما سبوحا قدوسا فنصبه على معنى ذكرت سبوحا
قدوسا »^(٩)

وقال سيويو : وأما سبوحا قدوسا رب الملائكة والروح فليس بمنزلة
سبحان الله ، لأن السبوح والقدوس اسم ولكنه على قولك :
أذكر سبوحا قدوسا »^(١٠) .

٦ — كتاب سيويو ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣

٧ — الجمل : ١٠٩

٨ — كتاب سيويو ١ : ٣٢٢

٩ — الجمل : ١٠٩

١٠ — كتاب سيويو ١ : ٣٢٧

٥ — جاء في الجمل : « وأما ما ينتصب من المصادر في معنى التعجب قولهم
كرما وصلفا ، وكرما لك وطول عمر وأنف . أى أكرمك الله ، وأطول
بعمرك وأنفك »^(١١) .

وقال سيبويه : « وما ينتصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك
إظهاره ولكن في معنى التعجب . قولك : كرما وصلفا . كأنه قال :
ألزمتك الله وأدام لك كرمك وألزمت صلفا ولكنهم خزلوا الفعل ...
لأنه صار بدلا من قولك أكرم به وأصلفه به ... وسمعت أعرابيا وهو أبو
مرهيب يقول : كرماً وطول أنف . أى أكرم بك وأطول بأنفك »^(١٢) .

وأرى أن الاتفاق قائم في بداية كل من النصين ، والأمثلة والمعالجة
كذلك . وأكاد أقول إن كلام سيبويه يمثل شرحا لما جاء في الجمل ، أو
أقول إن ماجاء في كتاب الجمل يمثل اختصارا لكلام سيبويه .

٦ — جاء في الجمل : « وتقول : هذا تمرا أطيب منه بُسراً ، أى إذا كان تمرا
أطيب منه إذا كان بُسراً »^(١٣) .

وقال سيبويه : وذلك قولك هذا بسراً أطيب منه رطباً فإن شئت
جعلته حيناً قد مضى ، وإن شئت جعلته حيناً مستقبلاً . وإنما قال
الناس هذا منصوب على إضمار إذا كان فيما يستقبل وإذا كان فيما
مضى لأن هذا لما كان ذا معناه أشبه عندهم أن ينتصب على إذا
كان »^(١٤) .

فمع ما في المثال من تغيير يسير فإن الإضمار الوارد في كتاب الجمل
هو مانسبه سيبويه إلى غيره بقوله : « إنما قال الناس » وربما كان يعنى
بذلك الخليل ، أو أنه لم يكن على يقين من نسبه ذلك للخليل فجعل
النسبة عامة .

١٢ — كتاب سيبويه ١ : ٣٢٨ هارون

١٣ — الجمل : ١١٣

١٤ — كتاب سيبويه ١ : ٤٠٠ هارون

٧ — جاء في الجمل : « وأما قولهم : الحرب أول ماتكون فتية » ، أى الحرب أول أحوالها إذا كانت فتية^(١٥) .

وقال سيويه : « وبعضهم يقول : الحرب أول ماتكون فتية ، كأنه قال : الحرب أول أحوالها إذا كانت فتية » .

فمما لاشك فيه أن الاتفاق في الأمثلة ذات العبارات المسكوكة ، والتعليق عليها ، والأمثلة التوضيحية التى هى من صنع المصنف ، والصياغة المشتركة ، يشهد بالصلة التى لانزاع فيها بين كتاب الجمل وكتاب سيويه ، ويؤكد أن سيويه الذى احتفظ بجمل آراء شيخه الخليل بن أحمد فى كتابه الذى وصف بأنه قرآن النحو قد استوعب مضمون كتاب الجمل المنسوب للخليل وحفظ عن شيخه الكثير من الأمثلة التى كان يلقتها لتلاميذه ، وبرز ذلك فى أوجه الشبه القوية التى جلونا طائفة منها أثناء عرضنا للنصوص الواردة فى الكتاين .

١٥ — الجمل : ١٢٥

١٦ — كتاب سيويه ١ : ٤٠٢ هارون

الحصاد

لقد تنازع هذا الكتاب رجلان أولهما « الخليل بن أحمد » (ت ١٧٥) ،
وثانيهما « ابن شقير » (ت ٣١٥ هـ) ، والذي أعلن هذا التنازع وحكم فيه
بدون إبداء أسباب هو « ابن مسعر » (ت ٤٤٢ هـ) ، فأعلن أن كتاب الجمل
المنسوب للخليل بن أحمد إنما هو لابن شقير . ومن المسلم به أن عصر الخليل
يمثل مرحلة من التصنيف النحوى لها طابعها ومذاقها المختلف عن طابع ومذاق
عصر ابن شقير .

وبعد استنطاق الكتاب بهذا اللون من الدرس نأمل أن نكون قد انتهينا معا إلى
الاطمئنان إلى القول بنسبة الكتاب للخليل بن أحمد لما فيه من رائحة الخليل
ونسماة عصره وقد أبرزنا من القرائن ما يشفع لذلك وتتلخص فيما يلي :

١ — النمط الذى جاء عليه الكتاب يعد من أنماط المراحل الأولى السابقة على
كتاب سيويه فقد كان الخليل بارعا فى تصنيف الظواهر بدقة حس
وعبقريّة فذة يشهد له بذلك علم العروض ومعجم العين وهذه البراعة
تدفعه إلى تناول مسائل النحو من خلال إحصاء لوجوه النصب ووجوه
الرفع ووجوه الجر ... الخ . وبجانب ذلك فوجه الشبه بين هذا الكتاب
وكتاب مقدمة فى النحو المنسوب أيضا لخلف أحرر (ت ١٨٠) غير
خفية . وليس هناك ما يمنع من أن (خَلْفًا) أراد أن يحذو حذو شيخ
النحويين .

٢ — اتفاق جل الآراء الواردة فيه مع ما جاء فى كتاب العين ، ومع مانسبه
سيويه ومن بعده للخليل ، وهذا الاتفاق بين لا تكلف فيه .

٣ — الصلة القوية بين عنوانات الكتاب وعنوانات كتاب سيويه ، وهذه تشهد
بتقدم كتاب الجمل فهو ليس من مصنفات القرن الرابع .

٤ — المصطلحات الواردة فيه تمثل مرحلة مبكرة من مراحل نمو المصطلح

النحوى وبعضها يعد أصولاً للمصطلحات البصرية والكوفية ، كما أن تخصيص كل جزئية بمصطلح يناسب المرحلة المبكرة التى سبقت استقرار المصطلحات المشتملة على صور كلية . وهى بذلك لاتناسب التصنيف فى أواخر القرن الثالث ومطالع الرابع . أعنى عصر ابن شقير .

٥ — مناقشة الفراء (ت ٢٠٧) لآراء بعض النحويين مع وجود هذه الآراء فى كتاب الجمل ، ولم نرها فى غيرها كالتصرف من النصب إلى الرفع ، تعد قرينة لما نحن بصددده .

٦ — التقارب بين مأورده أبو عبيدة فى مجاز القرآن وما جاء فى كتاب الجمل فى بعض المواضع يشعر بأن أبا عبيدة قد أفاد من فكر الخليل وعلمه الوارد فى كتاب الجمل .

٧ — معالجة المصنف للشواهد القرآنية ليست ببعيدة عن معالجة سيويه لما اتفقا فيه من آيات .

٨ — سعة علم المصنف بالقراءات وتوجيهها ، واتفاق الكثير منها مع قراءة أبى عمرو بن العلاء شيخ قراء البصرة . وقد سلك ابن الجزرى الخليل بن أحمد فى طبقات القراء . وكثيراً ما سأله سيويه عن توجيه القراءات .

٩ — معالجة الشواهد الشعرية وتتابع الشواهد بالطريقة الواردة بها فى كتاب سيويه يجعلنا نؤمن بأن ظلال كتاب الجمل هذا كانت محيطة بسيويه فقد جمع عن أشياخه الكثير ، وأكثر ما جمع كان عن الخليل بن أحمد .

١٠ — إيراد أمثلة وعبارات موجودة بعينها فى كتاب سيويه تشير مع ماسبق — إلى أن سيويه قد أفاد من النبع الثرى الذى عب منه عباً وهو الخليل بن أحمد وظهر ذلك فى العنوانات والأمثلة والعبارات .

وبعد : فإننى آمل أكون بهذا اللون من الدرس قد أضفت جديداً وأن أكون قد كشفت عن تأصيل بعض المصطلحات فى مراحلها الأولى التى تفرع عنها المصطلح البصرى والمصطلح الكوفى على السواء . وأن أكون قد جلوت رؤية فى نسبة هذا الكتاب لشيخ النحويين الخليل بن أحمد بهذا الاجتهاد فى الرأى .

المراجع

- اتحاف فضلاء البشر . لأحمد بن محمد البنا تحقيق د . شعبان محمد اسماعيل . عالم الكتاب بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٨٧ .
- أخبار النحويين البصريين . للسيرافي . تحقيق د . محمد إبراهيم البنا . دار الاعتصام .
- الأزهية في علم الحروف . لعلي بن محمد الهروي . تحقيق عبد المعين الملوحي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٢ .
- الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي . تحقيق طه عبد الرؤوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه . منشورات دار الحكمة — حلبوني — دمشق .
- إعراب القرآن . لأبي جعفر النحاس . تحقيق د . زهير غازي زاهد . عالم الكتب مكتبة النهضة العربية . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ .
- الاقتراح في أصول النحو . للسيوطي . دار المعارف لصاحبها أبو الحسنات . حلب — سوريا .
- إملأ مامن به الرحمن . لأبي البقاء العكبري . تحقيق إبراهيم عطوة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ — الحلبي بمصر .
- الإنصاف في مسائل الخلاف لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن الأنباري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٥ مطبعة السعادة .
- البحر المحيط . لأبي حيان . دار الفكر . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ .
- بغية الوعاة . للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٦٤ .
- التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس . تحقيق كوركيس عواد مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٦٥ .

- تفسير الطبرى . لأبى جعفر بن جرير الطبرى . تحقيق محمد شاكر وأحمد شاكر . دار المعارف بمصر .
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب لأبى منصور الثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف سنة ١٩٨٥ .
- الجمل فى النحو . للخليل بن أحمد . تحقيق د . فخر الدين قباوة سنة ١٩٨٥ مؤسسة الرسالة بيروت .
- الجمل للزجاجي . تحقيق د . على توفيق حمد . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ .
- ديوان الأدب . للفارابى . تحقيق د . أحمد مختار عمر . مجمع اللغة العربية ١٩٧٤ — ١٩٧٩ .
- السبعة فى القراءات . لابن مجاهد . تحقيق د . شوق ضيف دار المعارف سنة ١٩٧٢
- شرح أبيات سيويه . للسيرافى . تحقيق د . محمد على الريح هاشم . دار الفكر ومكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٤ .
- شرح أبيات سيويه . لأبى جعفر النحاس . تحقيق د . زهير غازى زاهد بغداد سنة ١٩٧٤ .
- شرح المفصل . لابن يعيش . عالم الكتب — بيروت .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . لأبى بكر محمد القاسم الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٦٣ ..
- العين . للخليل بن أحمد الفراهيدى ج ١ تحقيق د . عبد الله درويش مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٦٧ و ج ٢ ، ج ٤ ، ج ٥ ، ج ٦ ، تحقيق د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائى .
- غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى عنى بنشره ج برجشتراسر الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ .
- فقه اللغة وسر العربية . لأبى منصور الثعالبي . مكتبة الحياة — بيروت .
- الفهرست لابن النديم — تحقيق رضا تجدد . طهران .
- القاموس المحيط . للفيروز بادي . المكتبة التجارية بمصر .

- القرآن الكريم .
- كتاب سيويه . تحقيق عبد السلام هارون ١٩٦٦ — ١٩٧٧
- اللمع لابن جنى . تحقيق د . حسين شرف . عالم الكتب سنة ١٩٧٩
- مجاز القرآن . لأبى عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق د . فؤاد سركين . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ الخانجي بمصر .
- مجالس ثعلب . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الثالثة . دار المعارف ١٩٦٩ — ١٩٧٦ .
- مجالس العلماء . للزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات . لابن جنى . تحقيق على النجدي ناصف وآخرين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٨٦ — ١٣٨٩ ..
- المحرر الوجيز . لابن عطية تحقيق أحمد صادق الملاح . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- مختصر الشواذ في القرآن . لابن خالويه . عنى بنشره ج . برجشتراسر . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ .
- مختصر في ذكر الألفات . لأبى بكر الأنباري . تحقيق د . حسن الشاذلي فرهود . دار التراث بالقاهرة سنة ١٩٨٠ .
- مراتب النحويين . لأبى الطيب اللغوي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر سنة ١٩٧٤ .
- معاني الحروف للرماني . تحقيق د . عبد الفتاح شلبي دار النهضة سنة ١٩٧٣
- معاني القرآن . للفراء . تحقيق محمد على النجار وآخرين ١٩٥٥ — ١٩٧٢
- معجم المصطلحات في النحو والصرف والعروض والقافية . د . محمد إبراهيم عبادة . دار المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٤ .
- مغنى اللبيب . لابن هشام . تحقيق محيى الدين عبد الحميد . مكتبة محمد على صبيح بميدان الأزهر .

- مفاتيح العلوم . للخوارزمي . تحقيق ابراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ .
- المقتضب . للمبرد . تحقيق عبد الخالق عزيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- مقدمة في النحو . لخلف الأحمر . تحقيق عزالدين التنوخي دمشق سنة ١٩٦١
- نتائج الفكر . للسهيلي . تحقيق د . محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام .
- نزهة الألباء لأبي البركات بن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- النشر في القراءات العشر . لابن الجزري . أشرف على تصحيحه ومراجعته على محمد الضباع . المكتبة التجارية .
- همع الهوامع . للسيوطي . عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني . دار المعرفة بيروت لبنان .
- الواضح في علم العربية . لأبي بكر الزبيدي تحقيق د . أمين علي السيد . دار المعارف سنة ١٩٧٥ .

الفهرس

| | |
|--|-----------|
| مقدمة | ٧ — ٩ |
| الفصل الأول : نظرة عامة في كتاب الجمل : | ١١ — ٣٢ |
| — مادة الكتاب : ١٣ — ماتضمنه من مسائل نحوية وصرفية ١٤ | |
| — الشواهد والتعريفات : ١٥ — بيان معاني بعض المفردات وإعراب | |
| بعض الجمل : ١٦ — العلل النحوية : ١٧ — الأعلام وما في | |
| حكمها ٢٠ | |
| — الترابط بين محتويات الكتاب ٢٤ — الألفاظ ٢٨ | |
| — بعض المسلمات ٣١ | |
| الفصل الثاني : آراء الخليل : | ٣٣ — ٦٢ |
| — آراء الخليل الواردة في كتاب العين وصددها في كتاب الجمل ٣٣ | |
| — آراء الخليل المنسوبة إليه في كتاب سيبويه ومن بعده ٣٨ | |
| — الآراء الواردة في كتاب الجمل ولم تنسب للخليل في كتب النحو ٥٤ | |
| الفصل الثالث : العنوانات والمصطلحات : | ٦٣ — ١٠٠ |
| — العنوانات في كتاب الجمل وكتاب سيبويه : | ٦٥ |
| — المصطلحات في كتاب الجمل وكتاب سيبويه ومن بعده : | ٧١ |
| الفصل الرابع : الشواهد والأمثلة | ١٠١ — ١٥٠ |
| — الاستشهاد بالقرآن الكريم | ١٠٣ |
| المنهج بما في الاستشهاد بالقرآن الكريم | ١٠٣ |
| الاستشهاد بالقرآن في كتاب الجمل وكتاب سيبويه | ١٠٨ |
| الاستشهاد بالقرآن في كتاب الجمل ومعاني القرآن للفراء | ١١٣ |

| | |
|-----|---|
| ١١٦ | الاستشهاد بالقرآن في كتاب الجمل ومجاز القرآن لأبي عبيدة |
| ١٢٣ | — الاستشهاد بالحديث |
| ١٢٤ | — الاستشهاد بالشعر في كتاب الجمل وكتاب سيويه |
| ١٤٥ | — الأمثلة والعبارات في كتاب الجمل وكتاب سيويه |
| ١٥١ | الحصاد |
| ١٥٣ | المراجع |
| ١٥٧ | فهرس الموضوعات |

رقم الايداع ٣٢٠٨ / ٨٨
الترقيم الدولي ١ - ٤١١ - ١٠٧ - ٩٧٧

مركز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا — اسبورج
تليفون ٥٩٥١٩٢٣

